مدخل إلى الرّسالة إلى أتباع المسيح العبرانيين

إنّ كاتب الرسالة إلى أتباع المسيح العبرانيين مجهولُ الهويّة، وقد رَجّحَ العلماءُ أسماءً لبعض الأشخاص الذين ربّما يكون أحدهم قد كتب هذه الرسالة مثل بولس، ولوقا، وشمسي وغيرهم. ولكن لم يتوصّل أحدهم إلى تحديد هويّة الكاتب الحقيقي. ويبدو جَليّا أنّ كاتب هذه الرسالة له اطلاع واسع على التوراة وكتب الأنبياء الأخرى، وله معرفة وطيدة بالناس الذين يتوجّه إليهم بالخطاب في الرسالة، وهو متمرّس على الكتابة باللغة اليونانية، وصديق لتيموتاوي (13: 23).

واستخدم الكاتب في كتابة هذه الرسالة أسلوبا يونانيا راقيا، كما وظّف الأدوات البلاغية المألوفة في الثقافتين الإغريقية والرومانية. ورغم أنّ هذه الرسالةَ قد صُنّفت من جنس الرسائل، إلاّ أنّها تَفتقِد المقدّمة المألوفة في الرسائل، ولا تتضمّنُ اسم كاتبها. وربّما كانت هذه الرسالةُ أقربَ إلى الخطاب المحبوك بعناية، أو موعظة وضعت لجماعة معيّنة من المؤمنين، كاتبها متعمّق في كتابات الأنبياء القديمة المترجمة إلى اللغة اليونانية، وتَعلّمَ في المؤسسات اليونانية والرومانية آنذاك. لكن أسلوبه اليوناني يختلف تماما عن أسلوب الحواري بولس. إذن، فمن المستبعد أن يكون بولس هو كاتب هذه الرسالة.

وفي هذه الرسالة لا نعرف تحديدا الجمهور الذي يتوجّه إليه الكاتبُ بالخطاب كما أنّ عنوانها "إلى العبرانيين" ليس من وضع الكاتب، بل ربّما يكون ناسخٌ قد وضعه في القرن الثاني للميلاد لِما تحتويه هذه الرسالة من حُجَج تفسيريّة معقّدة مستمدّة من التوراة وكتاب الزبور ومن تقاليدَ يهوديةٍ أخرى تتعلّق بالعبادة. ويبدو من خلال مضمون الرسالة أنّ بعض قرّائها كانوا من اليهود الذين يتكلّمون اليونانية وقد رغبوا في التخلّي عن إيمانهم بالسيد المسيح والعودة إلى شعائرهم اليهودية.

وتشير المعلومات إلى أنّ هذه الرسالة قد كُتبت في الفترة الممتدّة بين سنتي 60 و90 للميلاد، إذ تناول الكاتب قضايا تَهمُّ جيلا ثانيا من المؤمنين عاش ما بين ثلاثين أو أربعين سنة بعد صعود السيد المسيح إلى السماء. ورأى

بعض الدارسين أنّ الرسالة كُتبت في الفترة التي تسبق سنة 70 للميلاد، لأنّ الكاتب أثبت فيها تفوّق السيد المسيح (سلامه علينا) على نظام الأحبار الكهنوتي بما فيه تقديمُ الأضاحي، واستند هؤلاء في قولهم إلى أنّ الرسالة لو كتبت بعد سنة 70 للميلاد لأشارت إلى حادثة تدمير بيت الله وحرمه المقدّس كدليل على أنّ الله تعالى قد نبذ نظام الأحبار. ولكنّ الكاتب لم يُبدِ أيَّ اهتمام ببيت الله في القدس أو بشعائر العبادة اليهودية في حرم البيت في عصره. وبدلا من ذلك ركّز على خيمة العبادة التي أمر الله النبي موسى ببنائها عندما كان فوق جبل سيناء، كما ركّز على شعائر العبادة التي وردت في التوراة في عهد موسى وهارون (عليهما السلام) ويشوع بن نون. كما حاول في هذه الرسالة أن يقارن بين جمهور مخاطبيه الذين قبلوا الميثاق الجديد، وبين اليهود الذين قبلوا الميثاق على جبل سيناء.

وكما هو معلوم، فقد كُتبت هذه الرسالة في زمن كان المؤمنون فيه يتعرّضون لاضطهاد شديد (13: 3) مثلما تعرّضوا للاضطهاد في الماضي (10: 32-34). ورغم أنّهم ظَلّوا لفترة من أتباع السيد المسيح (سلامه علينا) وتلّقَوْا تعاليمه الأساسية (6: 1-2) إلاّ أنّهم لم يأخذوا على عاتقهم القيادة كما يجب (5: 12). إذن، تهدف هذه الرسالة إلى حثّ المؤمنين على الإخلاص بما أنّهم يقاومون الاضطهاد وفتورَ الإيمان في الوقت نفسه.

الرسالة
إلى أتباع المسيح العِبرانيّين

بسم الله تبارك وتعالى

الرسالة إلى أتباع المسيح العِبرانيّين

1

الفصل الأوّل

المسيح حبيب الله

1 لقد أَوحَى اللهُ فيما مَضَى على ألسِنَةِ أَنبيائِهِ إلى آبائِنا الأَوَّلينَ بِشَتَّى الطُّرُقِ وفي مُختَلِفِ الأزمانِ. 2 أمّا الآنَ، وفي أواخِرِ أيّامِ هذِهِ الدُّنيا، فَقَد أَوحَى إلينا بسَيِّدِنا عيسَى، الابنِ الرُّوحيِّ لهُ تَعالى،(١) الّذي خَلَقَ بِهِ كُلَّ شَيءٍ، ثُمَّ جَعَلَهُ مَن يَرِثُ الكَونَ وما فيهِ. 3 والابنُ الرُّوحيُّ هو نورُ جَلالِهِ تَعالى، والتَّعبيرُ الصَّدوقُ(٢) عن ذاتِهِ، وهو الّذي يَحفَظُ كُلَّ ما في الكَونِ بِقوّةِ

---

(١) إنّ تعبير "الابن الروحي" هنا تعريب للمصطلح الذي يُترجم عادة بكلمة "ابن". ولا علاقة لمعناه مطلقا بعملية الإنجاب المألوفة في لغة الوحي اليونانية، معاذ الله! بل هو لقب مجازيٌّ للملك المختار الذي يجب أن يكون من سلالة النبي داود. إنّ هذا اللّقب يشير إلى نوعيّة العلاقة التي تربط بين الله والسيد المسيح. وعلى هذا الأساس يَمنح المسيحُ أتباعه الحقّ ليكونوا أهل بيت الله. ويعني هذا اللقب أيضا أنّه المسيح المنتظر الذي يحكم المملكة الأبديّة التي وعد الله بها عبادَه الصالحين. وأنّه كلمة الله التي ألقاها إلى مريم العذراء فأصبحت إنسانًا بقوّة روح الله. وحسب الإنجيل، فإنّ كلمة الله هي صفة قائمة في ذاته تعالى. ومن هذا المنطلق يُمكن أن نفهم السلطة التي يتمتّع السيّد المسيح (سلامه علينا) بها على بيت الله وهي كسلطة الابن البكر في العائلة.

(٢) اعتمدنا مصطلح "التعبير الصّدوق" وهو يقابل مصطلحا في اللغة اليونانية يشير إلى علامة الختم. واعتبر مفكّرون يهود، من باب المجاز، أنّ الله وسَمَ خَلقَه بختمه مثلما تضع الحكومة ختمها على العُمْلة، ولله المثل الأعلى. ويسمّي هؤلاء الكتّاب غالبا هذا الختم "الحكمة

كَلِمتِهِ. صَعِدَ إلى اللهِ، بَعدَ أن طَهَّرَ الإنسانَ مِن خَطيئتِهِ، وجَلَسَ على يَمينِهِ جَلَّ جَلالُهُ في السَّماواتِ العُلى.

شأن حبيب الله أعلى من شأن الملائكة

[4] وهكذا احتَلَّ سَيِّدُنا عيسى مَحَلاً أَعظَمَ مِن مَقامِ المَلائكةِ وأَبهى، كَما أَنّ لَقَبَهُ أَعظَمُ مِن ألقابِهِم وأَرقَى. [5] لأَنّنا نَقرأُ في كِتابِ الزَّبور عَن سَيِّدِنا عيسى: "أنتَ أقرَبُ إليّ مِن الابنِ لأبيهِ، واليَومَ على العَرشِ أجلَسناكَ". ولم يُخاطِب اللهُ أَحَدًا مِن المَلائكةِ بهذِهِ الطَّريقَةِ مُطلَقًا. وفي كِتابِ النَّبيِّ صَموئيلَ نَقرأُ قَولَ اللهِ عن سَيِّدِنا عيسى دونَ غَيرِهِ: "أنا أكونُ لهُ في مَقامِ الأبِ وهو يَكونُ في مَقامِ ابني الرُّوحيّ". [1] [6] ولقد جاءَ في التَّوراةِ أَنَّ اللهَ رَفَعَ أَشرَفَ أَحبابِهِ[2] فَوقَ العالَمينَ: "على المَلائِكةِ أن يَنحَنُوا أَمامَهُ ساجِدينَ". [7] ولقد وُصِفَ المَلائكةُ في كِتابِ الزَّبورِ بقَولِهِ تَعالى: "هُم رُسُلٌ كَالرِّياحِ، وخُدّامٌ مِثلُ لَهيبِ النّارِ". [3] [8] في حينَ جاءَ عن الابنِ الرُّوحيِّ للهِ: "اللَّهُمَّ، قائمٌ هو عَرشُكَ إلى أَبَدِ الآبِدين! أيُّها المُختارُ، أنتَ حاكِمٌ في مَملَكتِكَ المَوعودةِ بصَولَجانِ العَدلِ. [9] عاشِقٌ أنتَ أَيُّها المَليكُ للحَقِّ ومُبغِضٌ لِلظُلمِ، فيا لَلفَرَحِ

الإلهية".

[1] أُخِذت هذه الاقتباسات من المزمور 2: 7 وكتاب النبي صموئيل الثاني 7: 14. ويحتوي كلا النّصين على كلمة "ابن"، وشاع لدى مفسّرين يهود أن يجمعوا بين نصّين يحملان مصطلحا أساسيّا مشتركا، ويشير كلا النّصين إلى أنّ وَعْد الله يتحقّق من خلال رجل من سلالة النبي داود ويكون الملك الأبدي. وقد جاء ذِكرُ هذين النصين معا في مخطوطات البحر الميت كإشارة للمسيح المنتظر. وتُرجم الاقتباس من المزمور الثاني غالبا بـ "اليوم ولدتُك"، وتشير كلمة "ولدتُك" إلى تتويج الملك، وعندما ينطبق هذا المصطلح على المسيح المنتظَر، وهو سيدنا عيسى (سلامه علينا)، فإن ذلك يشير إلى تعظيمه (سلامه علينا) عن طريق انبعاثه من الموت.

[2] يشير مصطلح "أشرف أحبابه" إلى الابن البكر في العائلة ويكون نصيبه من الميراث ضعف ما يناله بقيّةُ أبناء العائلة (انظر التوراة، سفر التثنية 21: 17)، واستعمل اليهود مصطلح "البكر" كناية عن الملك المختار من سلالة النبي داود ﷺ ليؤكّد أنّه يُكرّم أكثر من غيره، وكان من البديهي أن يعرف القرّاء اليهود أنّ هذا الاقتباس من كتاب الزبور، مزمور 97: 7، وقد يحيل هذا النّص لدى البعض على التقليد اليهودي وفيه يأمر الله ملائكته بتكريم آدم عندما خلَقَه.

[3] كتاب الزبور، مزمور 104: 4.

إذ جَعَلَكَ اللهُ رَبُّكَ مَلِكًا فَوقَ كُلِّ المُلوكِ!"[٤] 10 ونَجِدُ عَنهُ في كِتابِ الزَّبورِ أيضًا: "يا مَولانا، لقد أسَّستَ في البَدءِ الأَرضَ، والسَّماواتُ مِن عَمَلِ يَدَيكَ، 11 هي تَفنى بَينَما أنتَ سَرمَديّ، كُلُّها تَبلى كَما يَبلى الثَّوبُ. 12 تَطويها كُلَّها كَرِداءٍ، وتُغَيِّرُها كالثَّوبِ الّذي أصابَهُ البِلى، أَمّا أَنتَ فتَدومُ ولا تَتَغَيَّرُ أبَدًا، وسِنوكَ لَيسَ لها انتِهاءٌ".[٥]

13 ما خاطَبَ اللهُ في كِتابِ الزَّبور أحَدًا مِنَ المَلائكةِ كَما خاطَبَ سَيِّدَنا عيسى حينَ أَوحى إليهِ: "اِجلِس على يَميني، حَتّى أقهَرَ أَعداءَكَ وأجعَلَهُم تَحتَ قَدَميكَ صاغِرينَ".[٦] 14 فالمَلائكةُ إذن لَيسوا سِوى خَدَمٍ مُطيعينَ وكائِناتٍ غَيبيَّةٍ يُرسِلُها اللهُ لِتَخدِمَ الفائِزينَ بِالنَّجاةِ.

2

الفصل الثّاني

التّحذير من الضّلال

1 بما أنّ سَيِّدَنا عيسى أَعظَمُ مِن المَلائكةِ وغَيرِهِم مِن الرُّسُلِ، فَعَلينا أَن نَتَمَسَّكَ بِما سَمِعنا مِن رِسالتِهِ حَتّى لا نَضِلَّ. 2 فإنّنا نَعلَمُ أَنَّ اللهَ جَعَلَ مَلائكتَهُ رُسُلاً بَعَثَهُم برِسالتِهِ إلى النَّبيِّ موسى. فأقامَ تَعالى تِلكَ الرِّسالةَ شَرعًا لبَني إسرائيلَ، وأذاقَ العِقابَ العادِلَ كُلَّ مَن تَعَدّاها وخالَفَها. 3 فكَيفَ لنا أن نَنجُوَ مِن عِقابِ اللهِ، إذا استَخفَفنا بالرِسالةِ العَظيمةِ الّتي تُنَجّي العالَمينَ، والّتي لم تَنزِل بها المَلائكةُ بَل أنزَلَها سَيِّدُنا (سلامُهُ علينا) مُباشَرةً، وأعلَنَها بِنَفسِهِ أَوّلاً، ثُمّ أكَّدَها لنا الحَواريّونَ الّذينَ سَمِعوها مِنهُ. 4 ولقد أقامَ اللهُ على صِحَّةِ الرِّسالةِ حُجَجَ الإثباتِ، بالآياتِ الّتي أجراها على أيديهِم، والعَجائبِ المُختَلِفةِ والمُعجِزاتِ، وبِما وَزَّعَهُ بِرُوحِهِ كَيفَما شاءَ مِن الكَراماتِ.

---

[٤] كتاب الزبور، مزمور 45: 6-7.

[٥] كتاب الزبور، مزمور 102: 25-27.

[٦] كتاب الزبور، مزمور 110: 1.

تواضع السّيّد المسيح وآلامه

[5] وما جَعَلَ اللهُ الأَيّامَ المُبارَكةَ المُنتَظَرةَ الّتي نَتَكَلَّمُ عَنها تَحتَ سُلطانِ المَلائكةِ، بل سيَكونُ لِلنّاسِ عليها السُّلطانُ المُبينُ. [6] فَقَد جاءَ في ثَنايا الكِتابِ: "يا رَبُّ، ما أهوَنَ البَشَرَ أمامَكَ! لِماذا تَنظُرُ إليهِم وتُعيرُهُمُ اهتِمامَكَ؟ [7] لقد جَعَلتَهُم دونَ المَلائكةِ إلى حينٍ، ثُمّ كَلَّلتَهُم بالهَيبةِ وأَحلَلتَهُم مَقامًا كَريمًا، [8] وسَخَّرتَ لهُم كُلَّ شَيءٍ". (٧) وما لِهذا مِن مَعنى، إلاّ أَنَّ اللهَ لم يَترُك شَيئًا إلاّ أَخضَعَهُ لسُلطانِ الإنسانِ. غَيرَ أنّنا الآنَ لا نَرى أنَّ كُلَّ الأشياءِ تَحتَ سُلطانِهِ. (٨) [9] وإنَّما نَرى سَيِّدَنا عيسى المَسيحَ الّذي جَعَلَهُ اللهُ إلى حينٍ أدنى مِنَ المَلائكةِ، حَتّى يُقاسيَ آلامَ المَوتِ ليَكونَ فِداءً لِكُلِّ البَشَرِ، رَحمَةً مِن اللهِ تَعالَى. ثُمّ كَلَّلَهُ اللهُ بالهَيبةِ وأَحَلَّهُ مَقامًا كَريمًا إذ ضَحَّى بحَياتِهِ. [10] إنَّ اللهَ مالِكُ المُلكِ وهو قادِرٌ على خَلقِ كُلِّ شَيءٍ. وحينَ أرادَ أن يَهدي أَفواجًا مِن النّاسِ إلى ذلِكَ المَقامِ الرَّفيعِ الّذي يَنتَظِرُهُ أهلُ بَيتِهِ، كانَ مِنَ الأَجدَرِ أن يُقاسي سَيِّدُنا عيسى آلامَ المَوتِ مِن أجلِهِم، فيَفتَحَ لهُم سَبيلَ الفَوزِ العَظيمِ. وبهذِهِ الآلامِ جَعَلَهُ اللهُ خَيرَ قائدٍ وخَيرَ نَصيرٍ. [11] فإنَّ سَيِّدَنا المَسيحَ مِن أهلِ بَيتِ اللهِ، شأنُ الّذينَ نَذَرَهُم (سلامُهُ علينا) عِبادًا صالِحينَ لله. ولهذا فإنّهُ (سلامُهُ علينا) لَيَدعو المؤمنينَ بِهِ إخوَةً وإنّهُ مُفتَخِرٌ بِذلِكَ. [12] إذ قالَ (سلامُهُ علينا) ما جاءَ في كِتابِ الزَّبور: "يا اللهُ، سأرفَعُ ذِكرَكَ أمامَ إخواني، وأُرَتِّلُ الأَناشيدَ وَسطَ جماعةِ الإيمانِ حَمدًا لكَ وتَسبيحًا". (٩) [13] وقالَ أَيضًا ما جاءَ في كِتابِ النَّبيِّ أَشعيا: "تَوَكَّلتُ على اللهِ...أنا ومَن وَهَبَهُمُ اللهُ لي مِن عِيالِهِ". (١)

[14] ولأنَّ عِيالَ اللهِ بَشَرٌ فانُونَ مِن لَحمٍ ودَمٍ، صارَ سَيِّدُنا عيسى بَشَرًا مِثلَهُم حَتّى يَموتَ فيَكسِرَ بذلِكَ شَوكَةَ إبليسَ الّذي استَولى على القُدرةِ ليَقودَ النّاسَ

---

(٧) كتاب الزبور، مزمور 8: 4-6.

(٨) خلق الله الإنسان وسخّر له بقيّةَ المخلوقات، وأمَرَه أن يخضع له تعالى وحده، ولكنّ البشر بعصيانهم فقدوا هذا المقام الرفيع.

(٩) كتاب الزبور، مزمور 22:22.

(١) كتاب النبي أشعيا 8: 17-18.

إلى الهَلاكِ، [15] وهكذا حَرَّرَهُم (سلامُهُ علينا) عِندَما ضَحّى بحَياتِهِ، فقد كانوا طَوالَ حَياتِهِم في العُبوديّةِ يَهابونَ المَوتَ.(٢) [16] وواضِحٌ أنّ سَيِّدَنا عيسى لم يَكُن نَصيرًا لِلمَلائكةِ بَل كانَ نَصيرًا لآلِ النَّبيِّ إبراهيمَ. [17] لذلِكَ كانَ لا بُدَّ للسَّيِّدِ المَسيحِ أن يُصبِحَ بَشَرًا شَبيهًا بِكُلِّ إخوتِهِ مِن جَميعِ النَّواحي، حَتّى يَكونَ لنا حَبرًا شَفيعًا رَحيمًا أمينًا أمامَ اللهِ، فضَحَّى بنَفسِهِ مِن أَجلِ النّاسِ ليَمحوَ ذُنوبَهُم. [18] وإذ قاسى الآلامَ والابتِلاءات، فهو قادِرٌ على إعانةِ كُلِّ مَن يَتَعَرَّضُ للابتِلاءاتِ مِثلَهُ.

3

الفصل الثّالث

السّيّد المسيح أعظم من النّبي موسى

[1] فيا إخوَتي الصّالِحينَ المَنذورينَ، يا مَن استَجَبتُم لِلنِّداءِ السَّماويِّ، تأمَّلوا سَيِّدَنا عيسى، الَّذي نُبايعُهُ رَسولاً وكَبيرًا للأحبارِ شَفيعًا. [2] إنَّ اللهَ اختارَهُ، فكانَ أَمينًا لهُ تَعالى، مِثلَما كانَ النَّبيُّ موسَى أَمينًا في آلِ بَيتِ اللهِ. [3] لكنَّ سَيِّدَنا عيسى، أحَقُّ بِالتَّكريمِ مِن النَّبيِّ موسى، كَما يَحظى مُشَيِّدُ البَيتِ بمَديحٍ يَفوقُ مَنزِلةِ البَيتِ. [4] أَليسَ لكُلِّ بَيتٍ يُبنى بانٍ هو مِنه أَعلى، واللهُ لكُلِّ شَيءٍ بانٍ. [5] إنّ الخادِمَ الأَمينَ في البَيتِ يَسعَى لِمَرضاةِ مَولاهُ، وكذلِكَ النَّبيُّ موسَى، غَيرَ أَنَّ كُلَّ ما قامَ بِهِ هذا العَبدُ الصّالِحُ كانَ صُورةً لِلحَقِّ الَّذي سيَتَجَلّى بَعدَ ذلِكَ، [6] أَمّا السَّيِّدُ المَسيحُ، فكانَ يَسعَى في رِعايتِهِ لِبَيتِ اللهِ لِمَرضاتِهِ تَعالى، كَما يَسعَى الابنُ لإرضاءِ أَبيهِ. وبِما أَنَّنا أتباعُ المَسيحِ فإنَّنا نَنتَمي إلى أهلِ بَيتِ اللهِ حَقًّا، إذا تَمَسَّكنا بِثِقتِنا في اللهِ في هذا العالَمِ، وافتَخَرنا بيَقينِنا حَتّى المُنتَهى.

---

(٢) يتمتّع سيدنا عيسى (سلامه علينا) بمكانة عالية مرموقة تفوق مكانة الملائكة، فانضمّ (سلامه علينا) إلى الإنسانيّة حتّى يمثّلهم عند الله باعتباره آدم الثاني. وترتفع مكانة الإنسان يوم القيامة فوق مكانة الملائكة شأن المكانة التي يحظى بها السيد المسيح الآن.

التّحذير من رفض رسالة الله

[7] لذلِكَ جاءَ وَحيٌ مِن رُوحِ اللهِ في كِتابِ الزَّبورِ يَقولُ: "اسمَعوا اليَومَ ما نَحنُ قائِلونَ، [8] ولا تَكونوا غَليظي الرِّقابِ كَما فَعَلَ آباؤُكمُ الأَوَّلونَ، عِندَما عَصَوْني في صَحراءِ سِيناءَ، حينَ كانوا يَمتَحِنونَ وَفائي بِوُعودي. [9] لَقَد كانوا يَرَونَ مُعجِزاتي مُدَّةَ أَربَعينَ سَنة، ورَغمَ ذلِكَ بالَغوا في اختِبارِ صَبري. [10] لذلِكَ غَضِبتُ عليهِم، إذ كانَت قُلوبُهُم ضالّةً دائِمًا، ويَرفُضونَ نَهجي المُستَقيمَ، [11] وأخيرًا غَضِبتُ عليهِم وأَقسَمتُ أنّهُم لن يَفوزوا بِالسَّكينةِ". (٣)

[12] فاحذَروا يا إخوَتي المؤمِنينَ، أن يَكونَ مِنكُم ذو قَلبٍ أثيمٍ، يَترُكُ إيمانَهُ ويَضِلُّ عَنِ اللهِ الحَيِّ القَيّومِ. [13] ولَقَد ذَكَرتُ لكُم ما جاءَ في كِتابِ الزَّبورِ: "اسمَعوا اليَومَ ما نَحنُ قائلونَ"، فَشُدّوا عَزمَ بَعضِكُم بَعضًا في كُلِّ يَومٍ لِئَلاَّ تَخدَعَكُم الآثامُ فتُخطِئوا وتَتَعَنَّتوا تُجاهَ اللهِ. [14] فإذا كُنّا كَما في البِدايةِ مُعتَصِمينَ بِحَبلِ اللهِ، وكُنّا على يَقينٍ بِإيمانِنا حَتّى النِّهايةِ، فسَنواصِلُ مُشارَكتَنا لأَهلِ السَّيِّدِ المَسيحِ. [15] إنَّنا مِن هَؤلاءِ لا شَكَّ، إن لم نَكُن ساهينَ عَمّا سَمِعنا مِن كَلامِ اللهِ: "اسمَعوا اليَومَ ما نَحنُ قائِلونَ، ولا تَكونوا غَليظي الرِّقابِ كَما كانَ آباؤُكمُ الأَوَّلونَ، عِندَما عَصَوني في صَحراءِ سِيناءَ".

[16] فمَن يَكونُ أولئكَ الّذينَ تَمَرَّدوا على اللهِ مَعَ أَنَّهُم سَمِعوا قَولَهُ تَعالى؟ إنَّهُم شَعبُ بَني يَعقوبَ، أولئكَ الَّذينَ أنقَذَهمُ اللهُ مِن ذُلِّ العُبوديّةِ في مِصرَ حينَ اتَّبَعوا النَّبيَّ موسى. [17-18] فصاروا الشَّعبَ المَغضوبَ عَليهِ طِيلةَ أَربَعينَ سَنةً، وفيها أَقسَمَ اللهُ أَنَّهُم مَحرومونَ مِن السَّكينةِ، بَعدَ أن كانوا مِن عِبادِ اللهِ المُختارينَ، ولكنَّهُم أَسرَفوا في ذُنوبِهِم، وتَمَرَّدوا على اللهِ، فلَم يَفوزوا بِالسَّكينةِ في بِلادِ كَنعانَ، بل سَقَطوا في البَيداءِ وماتوا. [19] إنَّ لنا مِن كُلِّ هذِهِ الأَحداثِ عِبرة: لأَنَّهُم لَم يَثِقوا باللهِ، فعَجَزوا عَنِ الفَوزِ بِالسَّكينةِ وكانوا جاحِدينَ.

---

(٣) كتاب الزبور، مزمور 95: 7-11.

4

الفصل الرّابع

الرّاحة الموعودة لمن يتوكّل على الله

[1] وَعَدَ اللهُ عِبادَهُ الصّالِحينَ بِالفَوزِ بِالسَّكينةِ، وما زالَ هذا الوَعدُ قائمًا، فَعَلَينا أَن نَحذرَ ونَنتَبِهَ حَتّى لا نُضَيِّعَ مِثلَهُم فُرصَةَ الفَوزِ بها. [2] فقد سَمِعَ البُشرى الإلهيّةَ آباؤُنا الأَوَّلونَ، كَما سَمِعناها نَحنُ، ولكنَّهُم كانوا جاحِدينَ بالرِّسالةِ، فلَم يَستَفيدوا مِنها ولم يَفوزوا بالنَّجاةِ. [3] أَمّا نَحنُ فصَدَّقنا رِسالةَ اللهِ، ولذلِكَ سَنَفوزُ بالسَّكينةِ والنَّعيمِ. إذ جاءَ في الزَّبورِ عَن الَّذينَ رَفَضوا رِسالةَ اللهِ: "وأخيرًا غَضِبتُ وأَقسَمتُ أنّهُم لن يَفوزوا بِالسَّكينةِ". ولقد قالَ اللهُ هذا رَغمَ أنَّهُ أَعَدَّها بَعدَ أن خَلَقَ العالَمينَ، [4] إذ جاءَ الوَحيُ في ثَنايا الكِتابِ: "وسَكَنَ اللهُ في اليَومِ السّابِعِ عن عَمَلِ الخَلقِ كُلِّهِ".(٤) أي، إنّهُ أوجَدَ الرَّاحةَ والسَّكينةَ. [5] ثُمّ أَكَّدَ قائلاً: "لَن يَفوزوا بِالسَّكينةِ".

[6] فآباؤُنا الأَقدَمونَ سَمِعوا البُشرى الإلهيّةَ زَمَنَ النَّبيِّ موسَى، ولكنَّهُم مُنِعوا بِسَبَبِ عِصيانِهِم مِن الفَوزِ بِالسَّكينةِ. وكَما تَرَونَ الآنَ، فإنّ السَّكينةَ في انتِظارِ مَن يَدخُلُها. [7] وقد حَدَّدَ اللهُ يَومًا لِلفَوزِ بها، وإنّهُ لَيَومُنا هذا! وأخبَرَنا هذا بَعدَ زَمَنِ عِصيانِ جيلِ النَّبيِّ موسى بِمئاتِ السِّنينَ على لِسانِ النَّبيِّ داوُدَ(٥) إذ قالَ في الزَّبورِ: "اسمَعوا اليَومَ ما نَحنُ قائِلونَ، ولا تَكونوا غَليظي الرِّقابِ كَما كانَ آباؤُكُم الأَوَّلونَ".

[8] فَتَحَ يَشوعُ بنُ نونَ بِلادَ كَنعانَ لِشَعبِ بَني يَعقوبَ، ولكنَّهُم لَم يَفوزوا بِالسَّكينةِ في زَمانِهِ، فحَدَّدَ اللهُ للنَّبيِّ داوُدَ زَمانًا لِلفَوزِ بِها غَيرَ ذلِكَ الزَّمانِ، [9] ولهذا السَّبَبِ، فإنّ وَعدَ اللهِ لعِبادِهِ بِالسَّكينةِ ما يَزالُ قائمًا، وهو راحَةٌ مِثلَ

---

(٤) التوراة، سفر التكوين 2:2.

(٥) لقد فهِم النّاس في زمن النبي موسى عليه السلام أنّ الكلمة الأصلية "الرّاحة" أو "السّكينة"، تشير إلى السّكن بأرض كنعان، وهذا ما لم يتمكّنوا من تحقيقه بشكل كامل، ولا سَلَفُهم ولا حتّى النبيّ داود عليه السلام. وكان الرومان يتحكّمون بأرض فلسطين زمن سيدنا عيسى (سلامه علينا)، فاعتقد اليهود أنّ ترميم مملكة داود وميعاد السّكينة المُنتظَر سيحلّ في الأيام الأخيرة للعالم فقط.

راحةِ اليَومِ السّابِعِ، [10] فمَن يَفوزُ بِالسَّكينةِ يَتَوَقَّفُ عن أعمالِهِ في هذِهِ الدُّنيا، كَما تَوَقَّفَ اللهُ عن أَعمالِ خَلقِ الكَونِ، [11] فلْنَجتَهِدْ جَميعًا للفَوزِ بها، فإنَّنا إن عَصَينا اللهَ مِثلَ بَني يَعقوبَ قَديمًا، فَسنَكونُ مِنَ الهالِكينَ.

[12] فانتَبِهوا لِرِسالةِ اللهِ. إنّها حَيَويةٌ فَعّالةٌ، أشَدُّ حِدَّةً مِن كُلِّ سَيفٍ صَقيلٍ ذي حَدَّينِ، فهي تَخترِقُ الأَعماقَ، ما بَينَ النَّفسِ والرُّوحِ، والمَفاصلِ والنُّخاعِ، تُمَحِّصُ نِياتِ القَلبِ والأفكارِ. [13] فلا شَيءَ مَخلوقٌ يَخفى على اللهِ. بل كُلُّ شَيءٍ في الكَونِ أمامَهُ عارٍ مَكشوفٌ، وأمامَهُ سنَتَعَرّضُ لِلحِسابِ.

حبيب الله خير شفيع

[14] وبما أَنَّ سَيِّدَنا عيسى، الابنَ الرُّوحيَّ للهِ إمامُنا الأكبَرُ الّذي عَرَجَ إلى السَّماءِ حَتّى يَشفَعَ لنا، فعَلَينا أن نَثبُتَ على الإيمانِ الّذي نُعلِنُهُ [15] رَغمَ أنّنا ضُعَفاءُ، فهو عَلينا شَفيقٌ رَؤوفٌ، حَيثُ تَعَرَّضَ مِثلَنا لأنواعِ المِحَنِ كُلِّها، إلاّ أنّهُ مَعصومٌ مِن كُلِّ الأَخطاءِ. [16] فلنَتَقَرَّب إلى عَرشِ الرَّحمنِ بِالدُّعاءِ، بِكُلِّ ثِقةٍ وثَباتٍ، فيَرحَمَنا ويَغمُرَنا بِفَضلِهِ عِندَ الحاجةِ.(٦)

5

الفصل الخامس

السّيّد المسيح أعظم من هارون وغيره من الأحبار

[1] إنَّ كُلَّ رَئيسٍ للأَحبارِ إنّما هو رَجُلٌ تَمَّ تَعيينُهُ مِن بَينِ البَشَرِ إمامًا يَنوبُ

---

(٦) تحدّث الأنبياء الأوّلون عن صندوق الميثاق المقدّس كرمزٍ لعرش الله، وتجلّيه تعالى. وكان للصندوق غطاء وعليه رسم لصورتي ملاكَيْن. ويرمز المشهدُ إلى عرش ملوكي يتكوّن من أشكال لكائنات ذات أجنحة على مثال عروش ملوك الشرق الأدنى القديم. وصوّر النّاس آلهتهم كملوك متوّجَة على العرش. وبما أنّ صندوق الميثاق يرمز لتجلّي الله، فلم يُسمَح لليهود بالاقتراب منه. وكان محفوظا في المحراب الأقدس في بيت الله، بل إنّ كبير الأحبار لم يكن باستطاعته الاقترابُ منه إلا مرّة واحدة في السنة. أمّا الآن فإنّ السيد المسيح يرمز إلى حقيقةٍ تؤكّد تجلّي الله بين الناس بدلَ صندوق الميثاق، ومع أنّه لم يُسمح للناس في ذلك الحين بالاقتراب من الصندوق، إلاّ أنّ البشر اليوم يمكنهم التقرّبُ من الله عن طريق السيد المسيح (سلامه علينا).

عَنهُم عِندَ اللهِ العَظيمِ، فيَرفَعُ للهِ الأَضاحي والقَرابينَ لِلتَّكفيرِ عنِ الخَطايا. [2] وهو مُعَرَّضٌ مِثلُهُم لِلضَّعفِ البَشَريّ، فقد يَعطِفُ على النّاسِ الغافِلينَ الضّالّينَ. [3] لذا عليهِ أن يُقَدِّمَ القَرابينَ، تَكفيرًا عَمّا اقتَرَفَهُ مِنَ ذُنوبٍ، وبَعدَ ذلِكَ يُكَفِّرُ عَن خَطايا الأَنامِ. [4] ولم يَكُن لأحَدٍ أن يَتَّخَذَ لنَفسِهِ هذِهِ المَكانةَ الشَّريفةَ مِن تِلقاءِ نَفسِهِ، بَل كانَ اللهُ هو الّذي يَختارُ مَن يُريدُ لهذِهِ المَكانةِ، كَما اختارَ سَيِّدَنا هارونَ كَبيرًا للأَحبارِ.

[5] وكذلِكَ السَّيِّدُ المَسيحُ لم يَرفَع نَفسَهُ ليَكونَ كَبيرَ الأحبارِ، بَلِ اللهُ هو الّذي اختارَهُ لذلِكَ، إذ قالَ في الزَّبورِ: "أنتَ أقرَبُ إليّ مِن الابنِ لأبيهِ، واليَومَ على العَرشِ أجلَسناكَ". (٧) [6] وقالَ عَنهُ في المَزاميرِ أيضًا: "إنَّكَ أَنتَ حَبرٌ إلى الأَبَدِ، على نِظامِ المَلِكِ صادِقٍ". (٨)

[7] وحينَما كانَ السَّيِّدُ المَسيحُ في هذِهِ الدُّنيا، كانَ يَرفَعُ إلى اللهِ أَدعيةً وَتَضَرُّعاتٍ، بِصُراخٍ شَديدٍ ودُموعٍ ساجِمَةٍ، وكانَ يَعلَمُ أنّ اللهَ قادِرٌ أَن يَبعَثَهُ مِنَ المَوتِ، فاستَجابَ لهُ لِتَقواهُ. [8] ومَعَ أنّه الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، فقد تَحَمَّلَ الآلامَ كَما أرادَ لهُ تَعالى، وهكذا أدرَكَ مَعنى الخُضوعِ للهِ. [9] فأتَمَّ غايَتَهُ وأصبَحَ قادِرًا على إنقاذِ تابِعيهِ إلى الأبَدِ، [10] لأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ كَبيرَ الأحبارِ على نِظامِ المَلِكِ صادِقٍ.

---

(٧) كتاب الزبور، مزمور 2: 7.

(٨) كان الملك صادق ملكا ورجلَ دينٍ معاصرا للنبي إبراهيم (انظر التوراة، سفر التكوين 14: 17 ومزمور 104: 4). يقارنُ الكاتبُ بين السيد المسيح والملك صادق من خلال اقتباسه من المقطع الأخير من مزمور 110: 4. وهذه المقارنة تعني أنّ السيد المسيح رجل دين وملك في آن، وهذا يختلف عمّا أوردته المجموعة التي ألّفت مخطوطات البحر الميّت قائلين إنّ كبير الأحبار المختار يختلف عن الملك المسيح المختار، وميّزوا بينهما إذ توقّعوا أن يكون كبير الأحبار من سلالة لاوي بن يعقوب عليه السلام بينما كان المسيح من سلالة يهوذا بن يعقوب (انظر هذه الرسالة 7: 14). فكِلا الملكين صادقٌ وسيدُنا المسيح كانا فريدين في التاريخ اليهودي، لأنهّما ملكان ورجُلا دين في الآن ذاته ولا ينحدران من سلالة لاوي، تلك السلالة المختارة لتعيين أحبار بني يعقوب.

[11] وقد يَطولُ الحَديثُ حَولَ هذا الشأنِ، لكن يَصْعَبُ تَفسيرُهُ لكُم لأنَّكُم لا تُبالونَ بِهِ. [12] كانَ عليكُم الآنَ أن تَكونوا قادِرينَ على هِدايةِ سائرِ النّاسِ، بَعدَ مُضيّ زَمانٍ على اهتِدائِكُم، ولكنَّكُم تَحتاجونَ إلى مَن يُذَكِّرُكُم أُصولَ رِسالةِ اللهِ مِن جَديدٍ. لأنّكُم ما زِلتُم في الإيمانِ أطفالاً تَحتاجونَ إلى الحَليبِ، لا إلى الطَّعامِ القَويّ. [13] إنّ مَن لم يَنضُج في الإيمانِ بَعدُ، يَكونُ كالطِّفلِ الرَّضيعِ تَنقُصُهُ الخِبرَةُ لِفِعلِ الخَيرِ، [14] أَمّا القادِرونَ على التَّمييزِ بَينَ الخَيرِ والشَّرِّ بِالمُمارَسةِ، فإنَّهُم تَمامًا كَالبالِغينَ القادِرينَ على هَضمِ الطَّعامِ القَوّي بسُهولةٍ.

6

الفصل السّادس

[1] فلنَتَقَدَّمْ إلى ما بَعدَ الأُمورِ الأَساسيّةِ في رِسالةِ سَيِّدِنا المَسيحِ وَلْنَسعَ جَميعًا لنَكونَ مِنَ الرّاشِدينَ، ولن نَعود مِن جَديدٍ لنَضعَ أُسُسَ إيمانِنا الّتي تَعَلَّمناها فيما مَضى كَالتَّوبةِ عن الأعمالِ الَّتي تؤدّي إلى الهَلاكِ، والإيمانِ بِاللهِ، [2] وشَعائرِ التَّطَهُّرِ بالماءِ، وكَيفيةِ وَضعِ الأيادي على الرّأسِ،[٩] وحَقيقَةِ انبِعاثِ المَوتى وعِقابِ يَومِ الدِّينِ. [3] نعم، لِنَتَقَدَّمْ إلى ما بَعدَ هذِهِ الأُمورِ الأساسيّةِ، وهذا ما سنَفعَلُهُ بإذنِ اللهِ.

[4] ولا يُمكِنُ أن يَعودَ الَّذينَ ارتَدُّوا عَن الإيمانِ إلى الطَّريقِ القَويمِ. إنّهُم كانوا إلى نورِ الإيمانِ مُهتَدينَ، واختَبَروا بَرَكات السَّماءِ، وحَظَوا بحُلولِ رُوحِ اللهِ فيهِم، [5] ووَجَدوا في رِسالتِهِ تَعالى رَيحانًا وطِيبًا، وأخَذوا مِنَ المُعجِزاتِ والكَراماتِ فِكرةً خاطِفةً عن الخَوارِقِ والقِوى الّتي ستَتَجَلّى في الآخِرةِ! [6] إنّ الّذينَ اِرتَدّوا عَن إيمانِهِم بِالسَّيِّدِ المَسيحِ رَغمَ كُلّ هذهِ البَرَكاتِ، فمُحالٌ إرجاعُهُم إلى التَّوبةِ، إذ بِارتِدادِهِم هذا يَصلِبونَ الابنَ الرُّوحيَّ للهِ مَرَّة

---

[٩] كان المؤمنون يمارسون عادةً دينيّةً قديمة، وهي وضع الأيادي على الشخص عند تعيينه للقيام بمهمّة أو عمل ديني. وكان المؤمنون يمارسون هذه العادة عندما يطلبون لشخص البركةَ أو الشفاء. وفي هذا السّياق، يبدو أنّهم وضعوا أيديهم على المؤمنين الجدد بعد تطهّرهم بالماء، لطلب حلول روح الله القدوس عليهم.

أُخرى، ويُهينونَهُ عَلَنًا. [7] إنَّ مَثَلَ مَن كانَ صالِحًا عِندَ اللهِ مِنَ المؤمنينَ، كمَثَلِ الأَرضِ الّتي تَشرَبُ مِرارًا غَيثَ السَّماءِ النّازِلَ عليها، وتُنبِتُ لِمَن يَخدِمُها خُضَرًا وثِمارًا، فيَزيدُ اللهُ بَرَكاتَهُ عليها. [8] فإن هي أنبَتَتْ شَوكًا وحَسَكًا، فلا خَيرَ يُرجى مِنها، وعَمّا قَريبٍ تَحُلُّ عليها لَعنةٌ، فتَكونُ النِّيرانُ مآلَها.

[9] أَيُّها الأَحِبّاءُ، إنّا لَمُوقِنونَ، أنّكمُ الأَرضُ الطَّيِّبةُ وأنّكُم إلى النَّجاةِ سائِرونَ، وما ضَرَبنا لكُم هذا المَثَلَ إلاَّ لنُحَذِّرَكُم. [10] فما اللهُ بظَلاّم حَتّى يَرُدَّ عليكُم عَمَلَكُمُ المُضني في سَبيلِهِ أو ما تُظهِرونَهُ مِن مَحَبّةٍ لهُ، إذِ اعتَنَيتُم وما زِلتُم تَعتَنونَ بغَيرِكُم مِن عِبادِهِ الصّالِحينَ. [11] ونَحنُ نَرغَبُ بشِدّةٍ في أن يُواصِلَ كُلُّ واحِدٍ مِنكُم في المَحَبّةِ نَفسِها لإخوانِهِ المؤمِنينَ، وهكذا تَحصُلونَ على يَقينِكُم في النِّهايةِ. [12] فلا تَغفَلوا، وإنَّما اقتَدُوا بِالّذينَ يَحصُلونَ على ما وَعَدَ اللهُ بِهِ بِالإيمانِ والصَّبرِ.

وعد الله الأكيد

[13] ولنَذكُرِ الآنَ وَعدَ اللهِ لأَبينا إبراهيمَ، إذ قَطَعَ لهُ عَهدًا، وأَقسَمَ بِذاتِهِ، فلا أَحَدَ غَيرَهُ أَعظَمَ مِنهُ حَتّى يُقسِمَ بِهِ ولا نِدًّا.(١) [14] وكَما جاءَ في التَّوراةِ إذ أَوحى إلى النَّبيِّ إبراهيمَ: "سأُبارِكُكَ بِلا رَيبٍ وأُكثِرُ نَسلَكَ كَثيرًا"(٢) [15] فصَدَّقَ إبراهيمُ ما قالَهُ تَعالى وَعدًا، وانتَظَرَ صابِرًا، إلى أن ظَفِرَ بِما وُعِدَ بِهِ. [16] في حينِ أنّ النّاسَ عِندَما يُقسِمونَ، فإنّهُم يُلزِمونَ أَنفُسَهُم بِمَن هو أَعظَمُ مِنهم شأنًا، ليَجعَلَهُم بارّينَ بِما وَعَدوا بِهِ. والقَسَمُ لكَلامِهِم تَثبيتٌ، والتِزامٌ بما وَعَدوا. [17] ولم يَكتَفِ اللهُ بوَعدِهِم، بل أثبَتَ وَعدَهُ لِلنَّبيِّ إبراهيمَ بِقَسَمٍ، حَتّى يَتَيَقَّنَ الّذينَ حَصَلوا على وَعدِهِ أن لا تَغييرَ في قَرارِهِ أَبَدًا. [18] وقَسَمُ اللهِ وَوَعدُهُ لنا ثابِتانِ لا يَتَحَوَّلانِ، ويَستَحيلُ أَن يَكذِبَ اللهُ فيهما. لذلِكَ يُمكِنُنا نَحنُ الَّذينَ نَلجَأُ إليهِ أن نَطمَئِنَ كَثيرًا بَينَما نَتَمَسَّكَ بِوَعدِهِ لنا.

---

(١) إنّ الله لا يحتاج إلى قسَم، ولكنّه أقسم ليؤكّد للناس وعْدَه فيبدّد شكوكهم. وبما أنّ الله لا يُخلفَ وعده فهو يقسم بذاته باعتباره السلطان الأعلى، تأكيدا على أنّه لن يخلف وعده أو يغيّر مشيئته أبدا.

(٢) التوراة، سفر التكوين 22: 17.

19 هذا هو يَقينُنا، وهو العُروَةُ الوُثقَى لِنُفوسِنا، يُدخِلُنا إلى ما وَراءِ الحِجابِ السَّماويّ، 20 حَيثُ عَرَجَ سَيِّدُنا عيسى أمامَنا ليُهَيِّئَ لنا الطَّريقَ، وأصبَحَ لنا الشَّفيعَ الأَعظَمَ إلى أبَدِ الآبِدينَ، على نِظامِ المَلِكِ صادِقٍ.

7

الفصل السّابع

الملك صادق أعظم من الأحبار من نسل هارون

1 كانَ المَلِكُ صادِقُ مَلِكَ مَدينةِ ساليمَ، وحَبرًا شَفيعًا أمامَ اللهِ. وعِندَما أقبَلَ على النَّبيِّ إبراهيمَ الّذي عادَ بَعدَ مَعرَكةٍ كَبيرةٍ انتَصَرَ فيها على أَربَعةِ مُلوكٍ في شَمالِ فِلَسطينَ، فوَهَبَهُ بَرَكةَ اللهِ،(٣) 2 فقَدَّمَ لهُ النَّبيُّ إبراهيمُ العُشرَ مِن الغَنائمِ. واسمُ المَلِكِ صادِقِ يَعني مَلِكَ الإخلاصِ، بَينَما يَعني مَلِكَ ساليمَ "مَلِكُ السّلامِ" 3 فلَم يَذكُرِ الوَحيُ أنّ لهُ أَبًا، ولا أُمًّا ولا نَسَبًا، ولم يَذكُرِ شَيئًا عَن وِلادتِهِ أَو مَوتِهِ، وبذلِكَ فَهو شَفيعٌ إلى الأَبَدِ على مِثالِ السَّيِّدِ المَسيحِ، الابنِ الرُّوحيِّ للهِ.

4 فانظُروا إلى ما عِندَ المَلِكِ صادقٍ مِن عَظَمةٍ! إذ أعطاهُ أَبونا إبراهيمُ، أبو الأَنبياءِ جَميعًا، عُشرَ الغَنيمةِ. 5 لَقَد عَيَّنَ اللهُ مِن عَشيرةِ لاوي ابنَ النَّبيِّ يَعقوبَ أحبارًا، وجاءَ في التّوراةِ أَنَّ مِن حَقِّهِم أن يأخُذوا العُشرَ مِنَ إخوانِهِم، أي مِن بَقيةِ شَعبِ بَني يَعقوبَ، مَعَ أنَّهُم جَميعًا يَنحَدِرونَ مِن ذُرّيّةِ النَّبيِّ إبراهيمَ، 6 أَمّا المَلِكُ صادِقٌ فرَغمَ أنّهُ لا يَنحَدِرُ مِن نَسلِ لاوي، لكِنّهُ بارَكَ النَّبيَّ إبراهيمَ الحاصِلَ على وعودِ اللهِ ونالَ مِنه العُشرَ! 7 وبذلِكَ فهو أعظَمُ مِنَ النَّبيِّ إبراهيمَ، إذ كُلُّ مَن يُبارِكُ الآخَرينَ، هو بِلا رَيبٍ أعظَمُ قَدرًا مِمَّن يَنالُ البَرَكةَ. 8 وفَوقَ ذلِكَ، إنَّ أَحبارَ بَني يَعقوبَ الّذينَ يَجمَعونَ العُشرَ هُم بَشَرٌ يَموتونَ، أَمّا المَلِكُ صادِقُ فهو أعظَمُ مِنهُم لأنّهُ لم يأتِ في الكِتابِ

---

(٣) كان الملك صادق في تلك الفترة ملك مدينة ساليم. (انظر ما يتعلّق به في التوراة، سفر التكوين 14: 8 – 24). وكانت لفظة ساليم تُطلق في الماضي على مدينة القدس (انظر كتاب الزبور، مزمور 76: 2).

أنَّهُ قَضَى، بل هو حَيٌّ. [9] ولو جازَ القَولُ، لَقُلنا إنَّ بَني لاوي الّذينَ يأخُذونَ العُشرَ، قد قاموا بدَفعِ العُشرِ لِلمَلِكِ صادِقٍ على يَدِ النَّبيِّ إبراهيمَ، [10] لأنّ النَّبيَّ إبراهيمَ، عِندَما قَدَّمَ العُشرَ للمَلكِ صادِقٍ، قَدَّمَهُ نِيابةً عنِ الّذينَ يَنحَدِرونَ مِنهُ. فلاوي، وإن لم يُولَد بَعدُ، فإنَّهُ كانَ في صُلبِ جَدِّهِ إبراهيمَ عِندَما التَقى بالمَلِكِ صادِقَ.

وجه الشّبه بين السّيّد المسيح والملك صادق

[11] كانَت شَريعةُ النَّبيِّ موسى تُقيمُ نِظامَ الأحبارِ مِن عَشيرةِ لاوي، وتَحديدًا مِن نَسلِ سَيِّدِنا هارونَ. ولكنّ هذا النِّظامَ لم يَكُن قادِرًا على تَقريبِ العابِدينَ إلى اللهِ بِشَكلٍ كامِلٍ، فاحتاجَ النّاسُ إلى حَبرٍ آخَر يَختَلِفُ عَنهُم تَمامًا، مِن غَيرِ نَسلِ سَيِّدِنا هارونَ، وعلى نِظامِ المَلِكِ صادِق، [12] لأنّهُ كُلَّما تَغَيَّرَ نِظامُ الأحبارِ، كانَ مِن الضَّروريّ أن تَتَغَيَّرَ الشَّريعَةُ وتَنُصَّ على هذا التَّغييرِ.
[13] كُلّ هذا نَلمُسُهُ في السَّيِّدِ المَسيحِ الّذي عَيَّنَهُ اللهُ كَبيرَ الأَحبارِ، باعتِبارِهِ لا يَنتَمي إلى قَبيلةِ لاوي، بل يَنتَمي إلى قَبيلةٍ لم يَكُن يَومًا ما أَحَدُ أَفرادِها حَبرًا في الحَرَمِ. [14] فَقَد كانَ سَيِّدُنا المَسيحُ مِن عَشيرةِ يَهوذا، ولم يَرِد في تَوراةِ النَّبيِّ موسى أنَّ أحبارًا مِن هذِهِ العَشيرةِ سيَخرُجونَ. [15] وحينَ ظَهَرَ كَبيرُ الأَحبارِ الّذي يُشبِهُ المَلِكَ صادِق، بَدا عَجزُ النِّظامِ القَديمِ أَوضَحَ على تَقريبِ العابِدينَ إلى اللهِ. [16] وإنّما أصبَحَ سَيِّدُنا عيسى كَبيرَ الأحبارِ، لا لأنّهُ مِن عَشيرةِ لاوي، كَما وَرَدَ في الكِتابِ، وإنَّما لأنَّهُ حَيٌّ وحَياتُهُ قَهَرَتِ المَوتَ.(٤)
[17] فقَد وَرَدَ عنهُ في الزَّبورِ: "إنّكَ أَنتَ حَبرٌ إلى الأَبَدِ على نِظامِ المَلِكِ صادِقٍ". [18] وهكذا ألغَى اللهُ ما أَمَرَ بِهِ بِخُصوصِ نِظامِ الأحبارِ القَديمِ، وأرسى حَبرًا على مِنهاجٍ جَديدٍ، فَقَد عَجَزَ الأحبارُ عَن تَقريبِ النّاسِ مِنَ اللهِ، [19] لأنَّ الشَّريعةَ عَجَزَت عن تَحقيقِ مَقاصِدِهِ تَعالى لِلعابِدينَ. فجَعَلَ اللهُ نِظامًا جَديدًا لِلّذينَ يَتَقَرَّبونَ إليهِ، وإنّا لَواثِقونَ أنّ هذا النِّظامَ سيَكونُ أفضَلُ مِمّا كانَ

---

(٤) لم يكن سيدنا عيسى حبرا على أساس انحداره من سلالة لاوي بن يعقوب عليه السلام، فهو ينحدر من ذريّة يهوذا، أخ لاوي. وحسب شريعة النبي موسى فإنّ الحبر لا يُعيَّن إلاّ من عائلة هارون من قبيلة لاوي بن يعقوب، وبذلك فإنّ سيدنا عيسى يُعتبر حبرا لسببٍ آخر لا علاقة له بالنسب.

عليهِ.
[20] أَمّا بِخُصوصِ تَعيينِ السَّيِّدِ المَسيحِ حَبرًا، فَقَد أَقسَمَ اللهُ كَما جاءَ في الزَّبورِ على ذلِكَ -وما أقسَمَ أَبَدًا عِندَ تَعيينِ أَحَدِ أحبارِ بَني لاوي- [21] أَنَّ سَيِّدَنا عيسى حَبرٌ فقالَ: "إنّ اللهَ قَد أَقسَمَ ولا رادَّ لِقَسَمِهِ! إنَّكَ أَنتَ حَبرٌ إلى الأَبَدِ". [22] ولذلِكَ كانَ سَيِّدُنا عيسى لميثاقِ اللهِ الجَديدِ ضامِنًا ودَليلاً، وهو أفضَلُ مِن الميثاقِ الأوّلِ.
[23] فقد جَعَلَ اللهُ بَينَ النِّظامَينِ فَرقًا آخَرَ: فالأحبارُ في النِّظامِ القَديمِ كُثُرٌ، لأنّ المَوتَ كانَ يَمنَعُهُم أن يُخَلَّدوا في مُهِمَّتِهِم. [24] أَمّا سَيِّدُنا عيسى، فإنَّهُ خالِدٌ، خُلودَ شَفاعتِهِ، إذ بُعِثَ مِنَ المَوتِ إلى الخُلودِ حَيًّا، [25] وهو بشَفاعتِهِ (سلامُهُ علينا) قَديرٌ على نَجاةِ المُتَقَرِّبينَ إلى اللهِ تَمامَ النَّجاةِ، لأنَّهُ حَيٌّ إلى الأَبَدِ يَشفَعُ لِلعابِدينَ.
[26] نعم، هذا هو سَيِّدُنا عيسى كَبيرُ الأحبارِ الَّذي كُنّا نَحتاجُ إليهِ، فهو المُقَدَّسُ الطّاهِرُ الزَّكي، المَعصومُ مِن ذُنوبِ البَشَرِ، الّذي رَفَعَهُ اللهُ فَوقَ الأكوانِ والعالَمينَ. [27] وإن كانَ غَيرِهِ مِن كَبارِ الأحبارِ هؤلاءِ يَحتاجونَ إلى تَقديمِ الأَضاحي كُلَّ يَومٍ حَتّى يُكَفِّروا عن ذُنوبِهِم أوّلاً، وعن ذُنوبِ العابِدينَ ثانيًا، فإنّ سَيِّدَنا المَسيحَ لا يَحتاجُ إلى هذا تَقديمِها، لأَنّهُ ذاتُهُ قُربانُ القَرابينِ، إذ ضَحَّى بِنَفسِهِ مَرَّةً واحِدةً مِن أَجلِ الآخَرينَ. [28] الشَّريعةُ تُقيمُ كِبارَ الأَحبارِ بَشَرًا خَطّائينَ، أمّا قَسَمُ اللهِ الّذي جاءَ بَعدَها، فَقَد أقامَ السَّيِّدَ المَسيحَ، الابنَ الرُّوحيَّ للهِ، شَفيعًا كامِلاً إلى الأَبَدِ.

8

الفصل الثّامن

الميثاق الجديد

[1] وخُلاصةُ ما أقولُهُ هو الآتي: وكَما شَرَحنا سابِقًا، فإنَّ لنا حَبرًا شَفيعًا، وهو جالِسٌ في السَّماءِ على يَمينِ عَرشِ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ، [2] وهو يَشفَعُ في عِلِّيّينَ في الحَرَمِ الحَقِّ أقدَسِ مَكانٍ أقامَهُ اللهُ لا البَشَرُ. [3] وبِما أَنّ مُهِمّةَ كُلِّ

كَبيرٍ مِنَ الأحبارِ هي تَقديم الأضاحي والقَرابينِ، فلا بُدَّ أن يُقَدِّمَ سَيِّدُنا عيسى شَيئًا للهِ أيضًا. [4] فلو كانَ (سلامُهُ علينا) في هذِهِ الدُّنيا، لَما سَمَحَت لهُ الشَّريعةُ بأن يَكونَ حَبرًا، لأنّها تَحصُرُ الأحبارَ الّذينَ يَرفَعونَ إلى اللهِ القَرابينَ في عَشيرةِ لاوي فقط. [5] وأحبارُ بَني يَعقوبَ يَخدِمونَ في المِحرابِ الأَقدَسِ داخِلَ بَيتِ اللهِ، وهو ظِلٌّ وصُورةٌ لبَيتِ اللهِ الحَقيقيّ في السَّماءِ. وهذا بَيِّنٌ في التَّوراةِ في ما ذَكَرَهُ اللهُ للنَّبيِّ موسى قَبلَ أن يُقيمَ خَيمَةَ العِبادةِ، عِندَما أوحى إليهِ: "انتَبِه يا موسى! أقِم الخَيمةَ على المِثالِ الّذي أوحَينا بِهِ إليكَ على طُورِ سِيناء!"(٥) [6] أمّا سَيِّدُنا عيسى، فجَعَلَهُ اللهُ في مَكانةٍ رَفيعةٍ، وعَمَلُهُ أفضَلُ مِمّا يَقومُ بِهِ الأَحبارُ في هذِهِ الدُّنيا، كَما أنّ الميثاقَ الَّذي أَقامَهُ اللهُ مِن خِلالِهِ أفضَلُ مِن الميثاقِ القَديمِ، لأَنَّ هذا الميثاقَ الجَديدَ يَقومُ على وُعودٍ أفضَلَ.

[7] فَلَو كانَ الميثاقُ الأَوَّلُ خاليًا مِن العُيوبِ وقادِرًا على تَلبيةِ ما نَحتاجُ إليهِ، لَما اضطُرِرنا إلى ميثاقٍ جَديدٍ، [8] وعِندَما رَأى اللهُ قَديمًا مَدى تَقصيرِ النّاسِ في الميثاقِ، قالَ على لِسانِ النَّبيِّ إرميا: "إنَّ أيّامًا سَتأتي، أُقيمُ فيها ميثاقًا جَديدًا مَعَ أَهلِ مَملَكةِ إسرائيلَ الشَّماليّةِ ومَملَكةِ يَهوذا الجَنوبيّةِ. [9] وإنّهُ غَيرُ الميثاقِ الّذي أَبرَمتُهُ مَعَ آبائِهِم الأَوَّلينَ، حِينَما أَمسَكتُ بِأَيديهِم وأخرَجتُهُم مِن مِصرَ. ولأنَّهُم زاغُوا عن ميثاقي تَرَكتُهُم، [10] أَمّا في الأَيّامِ القادِمةِ، فَسأُبرِمُ مَعَ بَني يَعقوبَ ميثاقًا جَديدًا يَكونُ على النَّحو التّالي: في سَريرتِهِم تَكونُ شَريعتي وفي عُقولِهِم أَنقُشُها، فأنا سأكونُ لهُم رَبًّا، وَهُم سيَكونونَ أُمَّتي. [11] ولن يَكون مِن الضَّروريّ أن يُرشِدوا أَهلَ أُمَّةِ اللهِ وأقرِباءَهُم بالقَولِ: "كونوا مِن العارِفينَ بِاللهِ!" لأَنَّهُم كُلَّهُم سيَعرِفونَني حَقَّ المَعرِفَةِ، مِن صَغيرِهم إلى كَبيرِهِم، [12] ولأَنّي سأغفِرُ لهم ذُنوبَهُم ولن أحسِبَ عليهِم خَطاياهُم". (٦)

[13] لَقَد أَبلَغَنا اللهُ تَعالى بِالميثاقِ الجَديدِ، وهذا يَعني أنّهُ جَعَلَ الميثاقَ الأَوَّلَ قَديمًا، فَلا بُدَّ أَن يَزولَ القَديمُ.

---

(٥) التوراة، سفر الخروج 25: 40.

(٦) كتاب النبي إرميا 31: 31-34.

9

الفصل التّاسع

تفاصيل الميثاق الأوّل

[1] لقد فَرَضَ الميثاقُ القَديمُ على بَني يَعقوبَ فَرائضَ فيها شَعائرُ وقَوانينُ تُنَظِّمُ العِباداتِ في حَرَمٍ يَحتوي على خَيمةٍ للعِبادةِ في هذِهِ الدُّنيا. [2] وفيها قِسمانِ يَفصِلُ بَينَهُما حِجابٌ: أوّلُهُما "المِحرابُ المُقَدَّسُ"، وفيهِ مِصباحٌ ذَهَبي، ومائِدةٌ يَضَعونَ عليها خُبزًا يَجعَلونَهُ قُربانًا للهِ. [3] وثانيهِما مُتَوارٍ خَلفَ الحِجابِ يُدعى "المِحرابَ الأَقدَسَ"، [4] وفيهِ مَوقِدٌ مِن ذَهَبٍ للبَخورِ، وفيهِ صُندوقُ الميثاقِ المُغَطَّى بالذَّهَبِ. ويَحتَوي هذا الصُّندوقُ على إناءٍ مِن ذَهَبٍ فيهِ المَنُّ طَعامًا لبَني يَعقوبَ في الصَّحراءِ آنذاكَ وعَصا هارونَ الَّتي أنبَتَت بَراعِمَ ولَوحَانِ مِن حَجَرٍ نُقِشَت عليهِما وَصايا الميثاقِ.(٧) [5] وفَوقَ غِطاءِ الصُّندوقِ يُوجَدُ شَكلانِ لِمَلاكينِ مُقَرَّبَينِ يُظَلِّلانِ بأَجنِحَتِهِما الغِطاءَ، ويَتَجَلَّى بَينَهُما جَلالُ نورِ اللهِ، حَيثُ كانَ كَبيرُ الأحبارِ يُكَفِّرُ عَن ذُنوبِ بَني يَعقوبَ بِرَشِّ الدَّمِ. ويَكفيكُم هذا المِقدارُ مِنَ التَّفاصيلِ، فالمَجالُ لا يَسمَحُ بِالمَزيدِ.(٨)

[6] ولَمّا قامَ بنو يَعقوبَ بِتَحضيرِ الأشياءِ الّتي يَحتاجونَ إليها، أخَذَ الأَحبارُ يَدخُلونَ بِاطِّرادٍ إلى المِحرابِ المُقَدَّسِ ويَقومونَ بِشَعائرِ العِبادةِ. [7] أَمّا المِحرابُ الأَقدَسُ، فلا يَدخُلُهُ إلاّ كَبيرُ الأحبارِ، مَرَّةً واحِدةً كُلَّ سَنةٍ. ويأخُذُ مَعَهُ دائمًا دَمَ الأُضحيةِ حَتّى يُكَفِّرَ عَن ذُنوبِهِ وعَنِ ذُنوبِ بَني يَعقوبَ الّتي كانوا يَرتَكِبونَها سَهوًا. [8] وجاءَت إشارةٌ مِن رُوحِ اللهِ من خِلالِ هذِهِ القَوانينِ تُؤكِّدُ أنّ طَريقَ الدُّخولِ إلى المَكانِ الأَقدَسِ حَيثُ تَجَلّيات اللهِ لَم يَكُن مَفتوحًا

---

(٧) ولمزيد من المعلومات عن "المنّ،" انظر التوراة، سفر الخروج 16: 2-35. ولمزيد معرفة قصّة تَبَرعُمِ عصا النبي هارون انظر التوراة، سفر العدد 16: 1-17: 11. ولمزيد من المعلومات عن ألواح الميثاق الحجرية، انظر سفر الخروج 34: 27-35.

(٨) لمزيد من التفاصيل التي تخصّ حرَمَ خيمة العبادة وأدواته، انظر التوراة، سفر الخروج 35 :4 – 40: 33.

لِلجَميعِ، ما دامَ النِّظامُ القَديمُ لبَيتِ العِبادَةِ قائمًا. [9] وإنَّ في هذا لَعِبرةً لنا اليومَ، ومِن الواضِحِ أَنَّ هذِهِ الأَضاحي والقَرابينَ لا يُمكِنُها أَن تُطَهِّرَ ضَمائرَ العابِدينَ. [10] لقدِ اقتَصَرَ النِّظامُ القَديمُ، على تَحليلِ بَعضِ الطَّعامِ والشَّرابِ وتَحريمِهِ، وعلى شَعائرَ مُختَلِفةٍ تَكونُ شُروطًا لِلطَّهارةِ، بَل إنَّ في نِظامِ الأَوّلينَ شَرائِعَ بَشَريةَ مَفروضة تَنتَهي حينَ يَحُلُّ النِّظامُ الجَديدُ.

تفوّق الميثاق الجديد

[11] أَمّا الآن، فكَبيرُ الأَحبارِ الَّذي اصطَفاهُ اللهُ هو السَّيِّدُ المَسيحُ الّذي حَقَّقَ ما وَعَدَنا اللهُ بِهِ مِن بَرَكاتٍ، وعَرَجَ إلى المَكانِ المُقَدَّسِ الحَقيقيِّ في السَّماءِ، حَتّى يَشفَعَ لنا في أَعظَمِ مَكانٍ وأكمَلِهِ، مَكانٍ لم تَصنَعهُ يَدُ البَشَرِ ولا يَنتَمي إلى هذِهِ الدُّنيا. [12] إنَّ أحبارَ بَني يَعقوبَ لَيَدخُلونَ إلى المِحرابِ الأَقدَسِ بِدَمِ عُجولٍ وتُيوسٍ، أمّا سَيِّدُنا عيسى فضَحَّى بحَياتِهِ، فكانَ الفِداءُ بدَمِهِ للنّاسِ، حينَ دَخَلَ مَرّةً واحِدةً وبِصِفةٍ نِهائيةٍ المِحرابَ الأَقدَسَ الحَقيقيَّ في السَّماءِ. [13] إنّ نِظامَ الميثاقِ القَديمِ يَقضي أن يَرُشَّ الأحبارُ على العابِدينَ دِماءَ الحَيَوانِ، وإنَّهُم لَيَتَّخِذونَ مِن رَمادِ عِجلةٍ ما يَنثُرونَهُ على النّاسِ المُنَجَّسينَ لِيُصبِحوا طاهِرينَ. [14] أمّا تَضحيةُ سَيِّدِنا المَسيحِ فهي أقدَرُ مِن تِلكَ القَرابين إذ تُطَهِّرُ قُلوبَنا مِن الأعمالِ الّتي تُؤدّي إلى الهَلاكِ لِكَي نَعبُدَ اللهَ الحَيَّ القَيّومَ. فقد قَدَّمَ المَسيحُ نَفسَهُ للهِ بِقوَّةِ رُوحِ اللهِ الأَزَليّ أُضحيةً لا عَيبَ فيها لتُغفَرَ ذُنوبُنا.

[15] فعلى هذا الأَساسِ، فإنَّ السَّيِّدَ المَسيحَ هو الصِّلَةُ بَينَ اللهِ والنّاسِ ليُرسِي الميثاقَ الجَديدَ، وبِهِ يَنالُ كُلُّ الّذينَ استَجابوا لِدَعوةِ اللهِ نَصيبَهُمُ الأَبَديّ الّذي وُعِدوا بِهِ. ففي زَمَنِ الميثاقِ الأوّلِ لم يَتَحَرَّرِ النّاسُ مِن ذُنوبِهِم، ولكنَّ اللهَ بِتَضحيتِهِ (سلامُهُ علينا) يُحَرِّرُهُم مِن كُلِّ الخَطايا.

[16] فعِندَما يَدخُلُ النّاسُ في ميثاقٍ، يَجِبُ على أَحَدِهِم أن يَذبَحَ حَيوانًا كإشارةٍ لِما سيَحصُلُ مَعَهُ لو خالَفَ هذا الميثاقَ. [17] فلا يُقامُ الميثاقُ إلا بَعدَ ذَبحِ هذا الحَيوانَ.(٩) [18] وميثاقُ اللهِ القَديمُ لم يُبرَم إلاَّ بَعدَ الذَّبحِ وتَقديمِ الدَّمِ أيضًا.

---

(٩) في زمن النبي إبراهيم وغيره من الأنبياء الأوّلين، كان الملوك وأصحاب السلطة يبرمون المواثيق بينهم وبين الأقل منهم سلطة، فيُطلب من هؤلاء غالبا ذبح الحيوانات كجزء من شعائر

19 فبَعدَ أن بَلَّغَ النَّبيُّ موسى جَميعَ بَني يَعقوبَ كُلَّ ما جاءَت بِهِ التَّوراةُ، خَلَطَ دَمَ عُجولٍ وتُيوسٍ بالماءِ، وغَمَسَ فيهِ حُزمَةً مِن نَباتِ الزّوفا وصوفًا أحمَرَ، ورَشَّ مِنهُ على كِتابِ التَّوراةِ وعلى جَميعِ شَعبِ بَني يَعقوبَ. 20 وقالَ: "بِهذا الدَّمِ يُبرَمُ الميثاقُ الّذي أَوصاكُمُ اللهُ أَن تَتَعَهَّدوهُ". (١) 21 ونَثَرَ مِنهُ على خَيمَةِ العِبادةِ وعلى كُلِّ أدَواتِ شَعائرِ التَّعَبُّدِ. 22 ولذلِكَ يُمكِنُ أن نَقولَ إنّ التَّوراةَ تُوصي بتَطهيرِ الأشياءِ بالدَمِ أو غَيرِهِ، في حينَ أنّ الطَّهارةَ مِن الذُّنوبِ لا تَكونُ إلاّ بإراقةِ الدَّمِ فقط.

السّيّد المسيح، الذِّبح العظيم

23 إنّ حَرَمَ المَقامِ المُقَدَّسِ في الدُّنيا صُورةٌ عن بَيتِ اللهِ في عِلِّيّينَ، فإن وَجَبَ تَطهيرُهُ بِرَشِّهِ بِدَمِ الذَّبائحِ، فقد وَجَبَ تَطهيرُ أهلِ السَّماءِ بذَبيحةٍ أعظَمَ وأَسمى. 24 فلقد دَخَلَ السَّيّدُ المَسيحُ إلى المِحرابِ الأَقدَسِ الحَقيقيّ في السَّماءِ أينَ يَشفَعُ الآنَ لنا في حَضرةِ اللهِ، ولم يَدخُل إلى المِحرابِ الّذي صَنَعَتْهُ يَدُ البَشَرِ لأنّهُ مُجَرَّدُ صُورةٍ مِنهُ. 25 يَدخُلُ كَبيرُ الأحبارِ إلى المِحرابِ الأَقدَسِ، سَنَةً بَعدَ سَنَةٍ، حامِلاً دَمًا غَيرَ دَمِهِ، أمّا سَيّدُنا المَسيحُ فَقَد دَخَلَ في السَّماءِ، وقَدَّمَ دَمَهُ لا دَمَ غَيرِهِ فِداءً للمؤمنينَ، مَرّةً واحِدةً لا مِرارًا وتِكرارًا، 26 وإلاَّ لَكانَ عليهِ أَن يَتَعَذَّبَ ويَموتَ مَرّاتٍ ومَرّاتٍ مُنذُ خَلقِ العالَمينَ! غَيرَ أنَّهُ، الآنَ، في آخِرِ أيّامِ هذهِ الدُّنيا، ظَهَرَ مَرَّةً واحِدةً وقَدَّمَ نَفسَهُ ذِبحًا عَظيمًا حَتَّى يَحمِلَ الخَطايا. (٢) 27 ولَقَد كُتِبَ المَوتُ على النّاسِ جَميعًا مَرّةً واحِدةً وبَعدَها يُواجِهونَ الحِسابَ، 28 كذلِكَ قَدَّمَ السَّيّدُ المَسيحُ حَياتَهُ فِديَةً مَرّةً واحِدةً حَتّى

إبرام الميثاق. والغاية من هذه الشعائر أن يؤكد الشخص الأدنى سلطة موافقته والتزامه بالميثاق، حتّى إذا ما خالف هذا الميثاق يكون مصيره الموت مثلما هلكت تلك الحيوانات، وشُطرت إلى نصفين إشارة إلى الموت العنيف لمن يخالف الميثاق (انظر التوراة، سفر التكوين 15: 9-21).

(١) التوراة، سفر الخروج 24: 8.

(٢) اعتقد اليهود أنّ التاريخ ينقسم إلى قسمين: الزمن الرّاهن والعصر المبارك المنتظر. ومن خلال تعبير "آخر أيّام هذه الدنيا" يؤكّد الكاتب أنّ فترة وجود السّيد المسيح في هذه الدنيا كانت لحظة فارقة في التاريخ. وبما أنّ مملكة الله تبدأ بمجيئه (سلامُهُ علينا) فإنّ العصر المبارك المنتظر بدأ الآن.

يَمحُوَ خَطايا الكَثيرينَ. وإنَّهُ لآتٍ مَرَّةً أُخرى، لا لِيَمحُوَ الذُّنوبَ بل ليُنقِذَ الّذينَ يَنتَظِرونَ تَجَلّيهِ بلَهفةٍ.[٣]

10

الفصل العاشر

[1] إنَّ شَرعَ النَّبيِّ موسى لَيسَ إلاّ ظِلَّ البَرَكاتِ المُنتَظَرةِ وصُورةً لها، لا الحَقيقَةَ ذاتَها. لذلِكَ لَم تَستَطِع أضاحي الأَحبارِ الّتي يُقَدِّمونَها بِاستِمرارٍ حَولاً بَعدِ حَولٍ كَما نَصَّت على ذلِكَ شَريعةُ بَني يَعقوبَ أن تَجعَلَ النّاسَ مِن الواصِلينَ الأَطهارِ. [2] وإلاّ فلِماذا استَمَرّوا في تَقديمِ تِلكَ القَرابينِ؟ إنّ قُلوبَ العابِدينَ، إذا تَطَهَّرَت مَرّةً، لن تَحتاجَ إلى تَطهيرٍ مَرّةً أُخرى، إذ يَزولُ الشُّعورُ بالذَّنبِ بالتَّطهيرِ الأوّلِ. [3] ولكنَّ القَرابينَ الّتي تُقَدَّمُ كُلَّ سَنةٍ تُذَكِّرُ العابِدينَ بِخَطاياهُم. [4] فدِماءُ الثِّيرانِ والتُّيوسِ لا يُمكِنُ أَن تَمحو ذُنوبَ المُذنِبينَ!

[5] لذلِكَ حينَ جاءَ سَيِّدُنا المَسيحُ إلى هذا العالَمِ، قالَ ما وَرَدَ في الزَّبورِ: "يا اللهُ، أنتَ لا تُريدُ أضاحيَ ولا قَرابينَ مِن النّاسِ، ولكنَّكَ لِهذا الغَرَضِ جَعَلتَ لي جِسمًا بَشَريًّا، [6] وأنتَ لم تَرضَ بالذَّبائحِ وغَيرِها مِن القَرابينِ يَحرِقونَها أمامَكَ ليُكَفِّروا بِها ذَنبًا عَصيًّا. [7] ولقد قُلتُ لكَ: لَبَّيكَ اللَّهُمَّ، قد جِئتُ طَوعَ إرادتِكَ، كَما أخبَرتَ عنّي في كِتابِكَ".[٤]

[8] إنّ في قَولِ السَّيِّدِ المَسيحِ دَليلاً على عَدَمِ رِضَى اللهِ بكُلِّ أنواعِ الأَضاحي والقَرابينِ بِما في ذلِكَ الذَّبائحِ الّتي تُحرَقُ تَكفيرًا عَنِ الذُّنوبِ، رَغمَ أنّها تُقَدَّمُ

---

[٣] يقارن الكاتب هنا بين عودة سيدنا عيسى من السماء وبين خروج كبير الأحبار من المحراب الأقدس في بيت الله. وحسب تقاليد بني يعقوب، كان عليهم يوم الكفارة أن ينتظروا في ساحة الحرم، خروج كبير الأحبار من المحراب الأقدس داخل بيت الله بعد تقديم دم الأضحية (القربان). وبمجرّد خروج كبير الأحبار يَتَيقّن العابدون أنّ خطاياهم قد غُفِرَت. ويمكن للناس أن يتيقّنوا بالطريقة نفسها، أنّ آثامهم قد غُفرت وذلك عند عودة السيد المسيح قادما من السماء.

[٤] كتاب الزبور، المزمور 40: 6-8.

وَفقًا لِما جاءَ في الشَّريعةِ. [9] ويُضيفُ (سلامُهُ علينا) في قَولِهِ أيضًا أنّهُ أَتى ليُتِمَّ إرادةَ اللهِ. فأوقَفَ اللهُ تَقديمَ الذَّبائحِ الحَيوانيّةِ حَسَبَ النِّظامِ القَديمِ، ليُقيمَ النِّظامَ الجَديدَ على أَساسِ تَضحيتِهِ (سلامُهُ علينا). [10] وأتَمَّ اللهُ مَقصِدَهُ بِتَضحيةِ سَيِّدِنا المَسيحِ بحَياتِهِ فِديةً مَرّةً واحِدةً، فأَصبَحنا بِهِ مِنَ المَنذورينَ.
[11] وحَسَبَ الميثاقِ القَديمِ، يَقِفُ أحبارُ بَني يَعقوبَ ويَقومونَ بِمُهِمَّتِهِم أَمامَ المِحرَقةِ يَومًا بَعدِ يومٍ، فيُقَدِّمونَ الأضاحي عَينَها مَرّةً تِلوَ الأُخرى، رَغمَ عَجزِهِم عن مَحوِ الذُّنوبِ بها. [12] أَمّا سَيِّدُنا عيسى فقَد ضَحَّى بِحَياتِهِ مَرّةً واحِدةً فجَعَلَ أتباعَهُ طاهِرينَ مِن كُلِّ الخَطايا إلى الأَبَدِ، ثُمّ جَلَسَ عَن يَمينِ اللهِ. [13] وإنّ سَيِّدَنا عيسى مُنذُ ذلِكَ الوَقتِ يَنتَظِرُ أن يَقهَرَ اللهُ لهُ أَعداءَهُ ويَرميهِم تَحتَ قَدَمَيْهِ صاغِرينَ. (٥) [14] فهو بتَضحيتِهِ مَرّةً واحِدةً جَعَلَ الّذينَ نَذَرَهُم للهِ مَقبولينَ قُبولاً حاسِمًا عِندَ اللهِ إلى الأَبَدِ.
[15] وهذا وَفقًا لِشَهادةِ رُوحِ اللهِ أَيضًا، إذ جاءَ في كِتابِ النَّبيّ إرميا: [16] "أَمّا في الأَيّامِ القادِمةِ، فَسأُبرِمُ مَعَ بَني يَعقوبَ ميثاقًا جَديدًا على النَّحو التّالي: في سَريرتِهِم تَكونُ شَريعتي وفي عُقولِهِم أنقُشُها". (٦) [17] ويَقولُ اللهُ فَوقَ ذلِكَ: "ولن أحسِبَ ذُنوبَهُم وآثامَهُم فيما بَعدُ". (٧) [18] وإذ غَفَرَ اللهُ الذُّنوبَ والخَطايا إلى الأبَدِ، فأيّ حاجةٍ إلى القَرابينِ بَعدَ ذلِكَ!؟

اثبتوا في الإيمان

[19] لذا، يا إخوتي، فنَحنُ قادِرونَ الآنَ على التَّقَرُّبِ إلى اللهِ في المِحرابِ الأَقدَسِ بِكُلِّ ثِقَةٍ، لأَنَّ سَيِّدَنا عيسى فَدانا بِدَمِهِ. [20] فعِندَما ضَحّى (سلامُهُ علينا) بِحَياتِهِ مِن أَجلِنا، فَتَحَ طَريقًا جَديدًا خالِدًا كَي نَمُرَّ وَراءَ الحِجابِ. [21] وإنّهُ حَبرُنا العَظيمُ، يُشرِفُ على أهلِ بَيتِ اللهِ المؤمِنينَ. [22] فَلنَتَقَرّب مِثلَهُ إلى حَضرةِ اللهِ بِقَلبٍ مُخلِصٍ وبِإيمانٍ ثابِتٍ، بَعدَ أَن أصبَحَتْ ضَمائِرُنا طاهِرةً مِنَ الذَّنبِ بِإراقةِ دَمِهِ، وتَطَهَّرَت أَجسامُنا بِماءٍ نَقيٍّ. [23] ولِنَتَشَبّث

---

(٥) يشير الكاتب مرة أخرى لمزمور 110: 1.
(٦) كتاب النبي إرميا 31: 33.
(٧) كتاب النبي إرميا 31: 34.

دائِمًا بالإيمانِ الّذي نُعلِنُهُ بِكُلِّ يَقينٍ ودونَ تَرَدُّدٍ، لأَنَّ اللهَ صادِقٌ في وَعدِهِ أَمينٌ. [24] ولنَسعَ إلى حَثِّ بَعضِنا بَعضٍ على المَحَبّةِ وَعَمَلِ الخَيرِ. [25] وعلينا أَلاّ نَغفَلَ عَنِ اجتِماعاتِنا كَما دأبَ البَعضُ، بل اجتَمِعوا كَي تُشَجِّعوا بَعضُكُم بَعضًا، خاصّةً واليَومُ المَوعودُ الّذي سيَتَجَلّى فيهِ سَيِّدُنا مَلِكًا يَدنو مِنكُم.

[26] فإن استَمَرَّ أَحَدُنا عَمَدًا في ارتِكابِ الخَطايا بَعدَ أن تَبَيَّنَّ الحَقَّ، فلا توجَدُ أيُّ ذَبيحَةٍ قادِرةٍ على إزالةِ الذَّنبِ عَنهُ بَعدَ تَضحيةِ السَّيِّدِ المَسيح. [27] بل إنّهُ يَنتَظِرُ يَومَ الدِّينِ بفَزَعٍ، يَومَ يَلقى النّارَ المُرعِبةَ تَلتَهِمُ أعداءَ اللهِ جَميعًا. [28] وفي القَديمِ، كانَ يُقتَلُ كُلَّ مَن يُخالِفُ شَريعةَ النَّبيِّ موسى دونَ رَحمةٍ بشَهادةِ شاهِدَينِ أو ثَلاثةٌ، [29] فحَسَبَ رأيكُم كَيفَ يَكونُ عِقابُ الّذينَ رَفَضوا السَّيِّدَ المَسيحَ، الابنَ الرُّوحيَّ للهِ وداسُوهُ تَحتَ أقدامِهِم، أولئكَ الّذينَ اعتَبَروا دَمَ الميثاقِ الّذي نَذَرَهُم بِهِ اللهُ، لا قِيمةَ لهُ، فأَهانوا رُوحَ اللهِ الرَّحيمِ؟ [30] وإنّا على عِلمٍ بِما جاءَ في التَّوراةِ، إذ قالَ تَعالى: "لي وَحدي حَقُّ القِصاصِ، وإنّي لأُجازي النّاسَ جَميعًا لا مَحالةَ". وقالَ أَيضًا: "سيُحاكِمُ اللهُ أهلَ الميثاقِ المُختارينَ". (٨) [31] فما أرهَبَ الوُقوعَ تَحتَ عِقابِ اللهِ الحَيِّ القَيّومِ!

[32] فلا تَنسَوْا يا أحبابي الأيّامَ الماضيةَ، بَعدَ أن أَصبَحتُم تَستَنيرونَ بِنورِ الإيمانِ بِالسَّيِّدِ المَسيحِ، فصَمَدتُم بنِضالِكُم الطَّويلِ، إذ قاسَيتُم الآلامَ كَثيرًا. [33] إنَّكُم تَعَرَّضتُم في سَبيلِ السَّيِّدِ المَسيحِ لِلذُلِّ عَلَنًا باضطِهادِكُم وإهانتِكُم حينًا، وسانَدتُم الّذينَ قاسوا هذِهِ المُعامَلاتِ حينًا آخَر. [34] فلَقَد تَعاطَفتُم مَعَ المؤمنينَ السُّجَناءِ، ولمّا صُودِرَتْ مُمتَلَكاتُكُم بسَبَبِ إيمانِكُم، تَقَبَّلتُم ذلِكَ بِسَعادةٍ ورِضى، إذ كُنتُم على يَقينٍ أنَّ ما يَنتَظِرُكُم عِندَ اللهِ خَيرٌ وأبقى. [35] فَلا تُلقُوا بما جَهَرتُم بِهِ عَن سَيِّدِنا المَسيحِ وَراءَ ظُهورِكُم، فإنَّ لهذِهِ الشَّجاعةِ الجَزاءَ الأَوفى. [36] وعليكُم أن تَصبِروا على المُضايقاتِ، وأن تَعمَلوا بِما يُرضي اللهَ، فتَنالوا الوَعدَ الأَسمى.

[37] لقد أوحى اللهُ في كِتابِ النَّبيِّ حَبَقّوقَ عَن سَيِّدِنا المَسيحِ: "آتٍ هوَ المُنتَظَرُ عَمّا قَريب، ولن يَتأَخَّرَ. [38] إنَّ كُلَّ مَن أرضى عَنهُ يَحيا بِالإيمانِ

---

(٨) التوراة، سفر التثنية 32: 35-36

الحَياةَ الرَّضيَّةَ، أَمّا أنا فلَن أَرضى عَن المُرتَدّينَ".[٩] 39 وما نَحنُ يا إخواني مِن أَهلِ الرِّدَّةِ الهالِكينَ، بل نَحنُ أَهلُ الإيمانِ النّاجونَ.

11

الفصل الحادي عشر

ما هو الإيمان

1 ما هو الإيمانُ؟ إنّ الإيمانَ هو الدَّليلُ على حَقيقةِ ما نَنتَظِرُهُ مِن وُعودٍ. فَرَغمَ أنَّنا لا نَرَى ما وَعَدَنا اللهُ بِهِ، فإنّنا بِالإيمانِ نَملِكُ بُرهانَ وجودِهِ. 2 وإنّما رَضيَ اللهُ عَن آبائِنا لإيمانِهِم. 3 ونَحنُ نُدرِكُ بالإيمانِ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الكَونَ بكَلِمةٍ مِنهُ، فكُلُّ ما نَراهُ خُلِقَ مِن عَدَمٍ![١] 4 إنّما بِالإيمانِ قَدَّمَ هابيلُ قُربانًا أفضَلَ مِمّا قَدَّمَه قابيلُ، وبفَضلِ إيمانِهِ رَضيَ اللهُ عنهُ وعن قُربانِهِ. فأصبَحَ بإيمانِهِ قُدوَةً للعالَمينَ رَغمَ موتِهِ. 5 وإنّما بِالإيمانِ انتَقَلَ إدريسُ عليه السلام إلى حَضرةِ اللهِ دونَ أن يَموتَ. فَقَد وَرَدَ في التَّوراةِ أنَّ إدريسَ اختَفى لأنَّ اللهَ رَفَعَهُ إليهِ، وقَبلَ ذلِكَ وَرَدَ في الكِتابِ أنّهُ كانَ عِندَ اللهِ مَرضيًّا. 6 ولا يُمكِنُ أن نَبلُغَ مَرضاةَ اللهِ دونَ إيمانٍ، فكُلُّ مَن تَقَرَّبَ إليهِ، لا بُدَّ أن يُؤمنَ بِوُجودِهِ تَعالى، وبِأَنَّه يُجازي خَيرًا كُلَّ مَن يَسعى إليهِ. 7 وبِالإيمانِ بَنى النَّبيّ نوحٌ عليه السلام سَفينةً لِيُنقِذَ أهلَهُ مِنَ الطّوفانِ. أطاعَ اللهَ عِندَما أَنذَرَهُ بِكارِثةٍ لا عَلاماتٍ لها ولا إشاراتٍ. وصارَ عليه السلام بإيمانِهِ مِنَ المَرْضيّينَ عِندَ اللهِ، وبإيمانِهِ أدانَ أهلَ الدُّنيا المُذنِبينَ.

8 وبِالإيمانِ أطاع النَّبيُّ إبراهيمُ اللهَ، عِندَما أَمَرَهُ بمُغادَرةِ أرضِهِ والتَّوَجُّهِ نَحوَ الأرضِ الَّتي وَعَدَهُ اللهُ بها نَصيبًا، وخَرَجَ وهو لا يَعلَمُ أينَ يَتَّجِهُ. 9 بالإيمانِ كانَ مُستَعِدًّا أن يَكونَ غَريبًا في سَفَرِهِ، مُنتَقِلاً مِن مَكانٍ إلى آخَرَ في كَنعانَ، تِلكَ الأَرضِ الّتي وَعَدَهُ اللهُ بِها، وكانَ يَسكُنُ وأهلَ بَيتِهِ في خِيامٍ، كَما عاشَ ابنُهُ إسحَقُ ومِن بَعدِهِ يَعقوبُ، وهُما الفائزانِ مِثلَهُ بِوَعدِ اللهِ. 10 فقد

---

[٩] كتاب النبي حبقوق 2: 3-4.

[١] التوراة، سفر التكوين 1: 1.

اشتاقَ النَّبيُّ إبراهيمُ إلى رُؤيَةِ المَدينةِ المُقَدَّسَةِ الأبَديّةِ، وهي المَدينةُ ثابِتةُ الأُسُسِ، تِلكَ الَّتي أنشأها اللهُ وبَناها.

11 وبِالإيمانِ أَيضًا، نالَتْ سارةُ القُدرةَ على الإنجابِ، رَغمَ أنّها عاقِرٌ وبَلَغَت سِنَّ اليَأسِ. ذلِكَ لأَنَّها آمَنَت بأنّ اللهَ وَفيٌّ لوَعدِهِ. 12 فكانَ لها مِن النَّبيّ إبراهيمَ شَعبٌ في كَثرتِهِ كالنُّجومِ، أو كَرِمالِ الشّاطئِ لا يُعَدّونَ، كُلُّهُم مِن رَجُلٍ واحِدٍ قارَبَ المَوتَ بشَيخوختِهِ دونَ أن يُنجِبَ.

13 كُلُّ هَؤُلاءِ ماتوا راسِخينَ في إيمانِهِم، ماتوا قَبلَ أَن يَنالوا ما وَعَدَ اللهُ بِهِ، بل كانوا على يَقينٍ بِتَحقيقِ وُعودِهِ في المُستَقبَلِ البَعيدِ، وبذلِكَ فَرِحوا مُعتَرِفينَ أَنَّهُم غُرَباءُ عابِرونَ في هذِهِ الدُّنيا. 14 وكُلُّ الّذينَ يَقولونَ ذلِكَ إنّما يَكشِفونَ شَوقَهُم إلى وَطَنِهِمِ الحَقّ. 15 ولَو كانوا يَتُوقونَ إلى البِلادِ الّتي هَجَروها، لأتيحَتْ لهُم فُرصةُ العَودةِ إليها. 16 ولكنَّهُم كانوا يَشتاقونَ إلى وَطَنٍ أَفضَلَ وأسمى، إنّهُ الوَطَنُ في النَّعيمِ. لذلِكَ كانَ اللهُ مَسرورًا حينَ يَدعونَهُ رَبَّهُم، فأعَدَّ لهُم حاضِرةً في النَّعيمِ.

17 بِالإيمانِ كانَ النَّبيُّ إبراهيمُ عليه السلام يُقَدِّمُ إسحَقَ ابنَهُ للهِ ذَبيحةً عِندَما امتَحَنَهُ. أجل، إبراهيمُ الَّذي حَصَلَ على وَعدِ اللهِ، كانَ يوشِكُ أن يَذبحَ ابنَهُ الفَريدَ، 18 رَغمَ أنَّ اللهَ قالَ لهُ: "يا إبراهيمُ، مِن إسحَقَ يَنحَدِرُ الوَرَثةُ وبِهِم أُحَقِّقُ وَعدي لكَ". (٢) 19 وهو يَعلَمُ أنَّ اللهَ قادِرٌ على إحياءِ ابنِهِ مِنَ المَوتِ، وبطَريقةٍ رَمزيّةٍ، استَعادَ النَّبيُّ إبراهيمُ ابنَهُ مِنَ المَوتِ.

20 وبِالإيمانِ طَلَبَ النَّبيُّ إسحَقُ لابنَيهِ يَعقوبَ والعِيصِ بَرَكاتٍ في المُستَقبَلِ مِن اللهِ.

21 وبِالإيمانِ، دَعا النَّبيُّ يَعقوبُ قَبلَ مَوتِهِ بالبَرَكاتِ لابنَيْ يوسُفَ، مُتَوكِّئًا على عَصاهُ رافعًا صَلَواتَهُ إلى اللهِ.

22 وبِالإيمانِ، أعلَنَ النَّبيّ يوسفَ أنَّ اللهَ سيُخرِجُ بَني يَعقوبَ مِن مِصرَ، فأوصاهُم قَبلَ مَوتِهِ أن يَنقُلوا مَعَهُم رُفاتَهُ.

23 وبِالإيمانِ، قامَ والِدا سَيِّدِنا موسى بإخفائِهِ مُدّةَ ثَلاثةِ أَشهُرٍ عنِ النّاسِ، لأنّهُما رأيا أنَّ ابنَهُما ذو بَهاءٍ عَظيمٍ، ولَم يَخشَيا أَمرَ فِرعَونِ مِصرَ الّذي

---

(٢) التوراة، سفر التكوين 21: 12.

حَكَمَ بِقَتلِ كُلِّ مَولودٍ ذَكَرٍ لِبَني يَعقوبَ.
[24] وبِالإيمانِ رَفَضَ النَّبيُّ موسى حينَ بَلَغَ سِنَّ الرُّشدِ أَن يُدعى ابنًا لابنةِ فِرعَونَ، [25] واختارَ أن يَتَحَمَّلَ الذُّلَّ مَعَ جَماعةِ اللهِ، على أن يَتَمَتَّعَ بِلَذّةِ الإثمِ الّتي لا تَدومُ. [26] ورأى أَنَّ الإهانةَ الّتي يُواجِهُها مَعَهُم في سَبيلِ المَسيحِ المُنتَظَرِ، خَيرٌ مِن كُنوزِ مِصرَ وأبقَى، لأنّهُ يَعلَمُ أنَّ جَزاءَهُ مِنَ اللهِ جَزاءٌ أوفى. [27] وبإيمانِهِ بِاللهِ تَرَكَ أرضَ النّيلِ وهو لا يَخشى غَضَبَ فِرعَونَ، بَل كانَ ثابِتَ الفُؤادِ، ذا عَزمٍ فأَبصَرَ مَن لا تَراهُ عَينٌ. [28] وبِالإيمانِ أَمَرَ بَني يَعقوبَ أن يَحتَفِلوا دائمًا بعِيدِ الفِصحِ، وأن يَرُشّوا دِماءَ الخِرفانِ المَذبوحَةِ على قَوائِمِ الأبوابِ، ليَتَجاوزَ بذلِكَ مَلاكُ المَوتِ أبكارَ شَعبِهِ ولا يَقتُلُهُم.
[29] وبالإيمانِ اجتازَ بَنو يَعقوبَ البَحرَ الأَحمَرَ كَأَنَّهُم يَجتازونَ اليابِسَةَ، في حينِ رامَ المِصريّونَ ذلِكَ، فغَرِقوا!
[30] وبِالإيمانِ طافَ بَنو يَعقوبَ حَولَ مَدينةِ أريحا سَبعةَ أَيّامٍ لأنّها لم تُفتَح لهُم، ثُمّ بِأَمرٍ مِنَ اللهِ انهارَت أَسوارُها ودَخَلوها.
[31] وبِالإيمانِ رِحابُ العاهِرة لم تَهلِك في تِلكَ المَدينةِ معَ شَعبِها الّذينَ رَفَضوا طاعةَ اللهِ، لأَنَّها أَوَتْ اثنَينِ مِن الكَشّافةِ مِن جَيشِ بَني يَعقوبَ في دارِها عِندَ مُطارَدتِهما مِن قِبَلِ أعدائِهِم.
[32] فهَل أَحتاجُ إلى المَزيدِ في استِعراضِ الأَمثِلةِ؟ لا يَتَّسِعُ المَجالُ كَي أُحَدِّثَكُم عَن إيمانِ جِدعونَ وإيمانِ باراقَ وَشَمشونَ، وفاتِحٍ والنَّبيِّ داوُدَ والنَّبيِّ صَموئيلَ وَغيرِهِما مِنَ الأَنبياءِ الأقدَمينَ. [33] فبِالإيمانِ تَغَلَّبوا على مَمالِكِ أَعدائِهِم، وحَكَموا بِالعَدلِ، وحَصَلوا على ما وَعَدَهمُ اللهُ بِهِ. وبِالإيمانِ كَفَّ اللهُ مِن أجلِهِم أَنيابَ الأُسودِ، [34] وأَخمَدَ النّارَ المُشتَعِلةَ واللَّهيبَ، وحَفِظَهُم مِن أن يُقتلوا بالسَّيفِ، وبِالإيمانِ صارَ ضَعفُهُم استِبسالاً، فأَصبَحوا في الحُروبِ أبطالاً، يَكسِرونَ جُيوشَ الغُرَباءِ. [35] واستَرجَعَتْ بَعضُ النِّساءِ أَمواتَهُنَّ الَّذينَ بُعِثوا أحياءً، واحتَمَلَ آخَرونَ التَّعذيبَ، وفَضَّلوا المَوتَ على أن يَكفُروا لِكَي يُطلَقَ سَراحُهُم، طَمَعًا في خَيرِ جَزاءٍ مِن اللهِ يَومَ القيامةِ.
[36] وغَيرَ هؤلاءِ مِن الَّذينَ تَحَمَّلوا الإهانةَ والتَّعذيبَ وقُيودَ السُّجونِ. [37] ومِنهُم مَن حوكَمَ، أو قُتِلَ رَجمًا بالحِجارةِ، أَو نَشرًا بالمَناشيرِ، أَو بِالسَّيفِ، ومِنهُم مَن تَشَرَّدَ واتَّخَذَ مِن جُلودِ الغَنَمِ والماعِزِ لِباسًا، فكانوا مَحرومينَ، مُضَيَّقًا

علـيهِم، مَظلـومينَ. [38] وقـد طُـرِدوا إلـى الفَيـافي والجِبـالِ، واختَبـؤوا فـي المَغاراتِ وكُهوفِ الأَرضِ، ولَم يَكُن هذا العالَمُ جَديرًا بِهِم!
[39] لقد رَضِيَ اللهُ عن هؤلاءِ جَميعًا لإيمانِهِم، غَيرَ أنَّهم لَم يَروا تَحقيقَ ما كانوا بِهِ مَوعودينَ. [40] فقَد وَعَدَنا اللهُ بما هو أسمَى، فحَقَّقَ وُعودَهُ في زَمَنِنا مِن خِلالِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ، وهكذا لَم يَصِل أسلافُنا الصّالِحونَ إلى الفَوزِ قَبلَنا، ولكنَّهُم في صُحبَتِنا سيَبلُغونَ الفَوزَ العَظيمَ.

12

الفصل الثّاني عشر

الله يؤدّب أهل بيته

[1] إنَّ مَثَـلَ هـؤلاءِ الشّـاهِدينَ علـى الإيمـانِ، كمَثَـلِ جَماعـةٍ عَظيمـةٍ مِـن المُشاهِدينَ يَتَحَلَّقونَ حَولَنا. فلنَكُن كَأنَّنا في سِباقٍ، ولنَتُرُكَ جانِبًا كُلَّ ما يَعُوقُنا عَنِ المَسيرِ، ولنَتَحَرَّرَ مِنَ الذَّنبِ الّذي يُؤَدّي إلى سُقوطِنا بِكُلِّ سُهولةٍ، كَي نُواصِلَ في سِباقِ الإيمانِ المُمتَدِّ أَمامَنا بِعَزمٍ وتَصميمٍ. [2] وكَما أنَّ المُتَسابقينَ يُحَدِّدونَ هَدَفَهُم جَيِّدًا، ثُمّ يَركُضونَ نَحوَهُ، فإنّهُ عَلينا أن نَشخَصَ بأبصارِنا إلى سَيِّدِنا عيسى، فهو الّذي أسَّسَ إيمانَنا وهو الّذي يَصِلُ بِهِ إلى غايتِهِ. لقَد تَحَمَّلَ عَذابَ المَوتِ على الصَّليبِ، لا يُبالي بالذُّلِّ الّذي لَقِيهُ، إذ كانَ يَرى ما يَنتَظِرُهُ مِن سُرورٍ، ثُمَّ جَلَسَ على يَمينِ عَرشِ اللهِ. [3] فاعتَبِروا بِهِ، هو الَّذي تَحَمَّلَ عِداءَ الأشرارِ، حَتّى لا تَقنَطوا ولا يَنهارَ إيمانُكُم.
[4] إنّكُم لَتُجاهِدونَ ضِدَّ السُّوءِ، ولكِن لَم تُسفَك دِماؤُكُم بَعدُ. [5] إخوتي، أَتُراكُم نَسِيتُم نَصيحةَ النَّبيِّ سُليمانَ الّتي وَرَدَت في الكِتابِ، وفيها يَعتَبِرُكُمُ اللهُ مِن آلِ بَيتِهِ؟ قالَ النَّبيُّ سُليمانُ: "أي بُنَيَّ، لا تَستَخِفَّنَّ إذا ما أدَّبَكَ اللهُ، ولا تَقنَطَنَّ إذا ما عاتَبَكَ. [6] فمَن أَحَبَّهُ اللهُ أَدَّبَهُ، واللهُ يُعاقِبُ كُلَّ مَن يَجعَلَهُ مِن أَهلِ بَيتِهِ". (٣)
[7] وقد يأخُذُ الأَبُ في تأديبِ أبنائِهِ بِالشِّدَّةِ حَتّى يَسيروا في طَريقِ الصَّلاحِ.

---

(٣) يقتبس الكاتب هنا من سفر الأمثال 3: 11-12.

كذلِكَ يُرسِلُ اللهُ عليكُم ابتِلاءاتِهِ لِلغايةِ نَفسِها، فتَحَمَّلوا الضِّيقَ، فاللهُ رَبُّكُم وأنتُم أَهلُ بَيتِهِ المَحبوبونَ. [8] فإن لم يَبتَلِكُم كَي تَكونوا مِن الصّالِحينَ، كَما يَفعَلُ ذلِكَ مَعَ الّذينَ هُم مِن عِيالِهِ، فذلِكَ يَعني أنّكُم مُدَّعُونَ ولَستُم في الحَقيقةِ مِن أهلِ بَيتِهِ. [9] ونَحنُ نَحتَرِمُ آباءَنا الّذينَ عَلَّمونا الصَّلاحَ وأدَّبونا. أفلا يَجدُرُ بنا الآنَ أَن نَخضَعَ للهِ أبينا الرَّحمنِ الرَّحيمِ، حَتّى يَجعَلَنا مِنَ الخالِدينَ؟ [10] وكانَ تَأديبُ آبائِنا في الزَّمانِ مَحدودًا، بِما رَأوهُ مُناسِبًا. ولكِنَّ اللهَ يَختَبِرُنا دائِمًا لِصالِحِنا حَتّى نَتَمَتَّعَ بِقَبَسٍ مِن قُدسيّتِهِ. [11] وإنّه لَطَبيعيّ أن يَرى المَرءُ كُلَّ تأديبٍ في حينِهِ مؤلمًا، غَيرَ أنَّهُ سَيَرضى بَعدَ قَليلٍ حِينَما تُفعَمُ نَفسُهُ صَلاحًا وسَلامًا مِن ذلِكَ الاختِبارِ.

[12] فشَدِّدوا ما ضَعُفَ مِن عَزائِمِكم، وما وَهَنَ مِن قوّتِكُم. [13] وسِيروا على الصِّراطِ المُستَقيمِ، حَتّى لا يَنحَرِفَ الّذينَ كانوا في إيمانِهِم ضُعَفاءَ، بل يُصبِحوا مِنَ السّالِمينَ الرّاشِدينَ.(٤)

إحذروا الكفر

[14] اِسعَوْا إلى السَّلامِ مَعَ جَميعِ النّاسِ، وإلى نَذرِ حَياتِكُم للهِ، فدونَ هذا، تَعجِزونَ عن رُؤيةِ سَيِّدِنا حينَ يَتَجَلّى. [15] فاحذَروا أن تَغفُلوا فتَخسَروا فَضلَ اللهِ، وأن يَنمو فيكُم، كَما ذَكَرَتْ التَّوراةُ: "الضَّلالُ كَالجِذرِ المَريرِ"، فيَخنُقَ مِنكُم الكَثيرَ ويُفسِدَهُم.(٥) [16] فاحذَروا أن يَكونَ بَينَكُم الفاسِقونَ أو المُستَهتِرونَ أَهلُ الشَّهَواتِ، الّذينَ لا يَهتَمّونَ بِرِسالةِ اللهِ، مِثلُ العِيصَ الّذي تَخَلّى لأخيهِ النَّبيِّ يَعقوبَ عن بَرَكاتِ كَونِهِ الابنَ البِكرَ مُقابلَ إشباعِ شَهوةِ الطَّعامِ، غَيرَ مُبالٍ أنَّ ما يَطلُبُهُ أبوهُ مِنَ البَرَكاتِ، مَصحوبٌ بِما وَعَدَهُ اللهُ بِهِ. [17] وإنَّكُم لتَعلَمونَ، أنَّ العِيصَ حينَ رَغِبَ أن يَستَعيدَ ما أضاعَ مِن خَيراتٍ، بَعدَ أن كانَ بها مُستَخِفًّا، رَفَضَ أبوهُ رَجاءَهُ، فلم يَجِد سَبيلاً إلى تَغييرِ مَوقِفِ أبيهِ، رَغمَ ما أبداهُ مِن إلحاحٍ ودُموعٍ وتَوَسُّلٍ.

[18] يا إخوتي، لم يَحدُث مَعَكُم كَما حَدَثَ مَعَ بَني يَعقوبَ قديمًا في طُورِ

---

(٤) تتضمّن هذه الكلمات تلميحا إلى ما جاء على لسان النبي سليمان في سفر الأمثال 4: 26.

(٥) التوراة، سفر التثنية 29: 18.

سِيناءِ، فَلَم يَستَطيعوا الاقتِرابَ مِن تَجَلّياتِ اللهِ في الجَبَلِ، ولا لَمسَ الجَبَلِ المُشتَعِلِ نارًا. إنَّ فيهِ لظُلمةً، وريحًا عاصِفةً وقتامةً، [19] وهُتافَ بوقٍ، وصَوتًا مُرعِبًا لدَرَجةِ أنّهُم التَمَسوا مِن النَّبيِّ موسى أَن يَطلُبَ مِن اللهِ قَطعَ هذا الخِطابِ. [20] فقد عَجَزوا عنِ تَحَمُّلِ ما جاءَ عنِ اللهِ: "فإن مَسَّ الجَبَلَ إنسانٌ، أو حَتّى حَيوانٌ، قُتِلَ رَجمًا بِالحِجارةِ". (٦) [21] وكانَ ما تَراهُ العَينُ عَظيمًا مُرعِبًا، فقالَ النَّبيُّ موسَى: "إنّي أرتَعِشُ مِنَ الخَوفِ". (٧)

[22] أَمّا أنتُم يا إخواني، فَبِفَضلِ إيمانِكُم أصبَحتُم مِنَ المُقَرَّبينَ، إذ دَخَلتُمُ الحاضِرةَ المُقَدَّسةَ في عِلّيّينَ، حاضِرةَ اللهِ الحَيِّ القَيّومِ في السَّماءِ فَوقَ جَبَلِ تِصْيونَ! (٨) وفيها تَتَلاقَى أَفواجٌ مِنَ المَلائكةِ لا تُحصَى في احتِفالٍ بَهيجٍ. [23] إنَّكُم قادِمونَ إلى جَماعةِ عِيالِ اللهِ الشُّرَفاءِ الّذينَ دُوِّنَتْ أَسماؤُهُم في السَّماءِ. أجل، إنّكُم قادِمونَ إلى اللهِ الحَكَمِ العَدلِ بَينَ كُلِّ البَشَرِ، وإلى الأمواتِ الّذينَ رَضيَ اللهُ عَنهُم ومَكَّنَهُم مِن بُلوغِ حَضرتِهِ، [24] كُلُّ ذلِكَ بِفَضلِ سَيِّدِنا عيسى الَّذي أَبرَمَ مَعَنا ميثاقَ اللهِ الجَديدَ بِدَمِهِ المَسفوكِ الَّذي يَحمِلُ مَغفِرةَ الذُّنوبِ، وإنّ دَمَهُ لَأفضَلُ مِن دَمِ هابيلَ الَّذي طَلَبَ القِصاصَ.

[25] فانتَبِهوا، ولا تَرفُضوا سَماعَ كَلامِ اللهِ. إنَّ الَّذينَ رَفَضوا أن يَستَمِعوا إلى إنذارِ النَّبيِّ موسى الَّذي يَنتَمي إلى الأَرضِ، أصابَهُمُ العِقابُ الشَّديدُ. وإذا ارتَدَدنا عَن سَيِّدِنا عيسى المُنَزَّلِ مِن السَّماءِ، فلَن نُفلِتَ أبَدًا مِن العِقابِ الشَّديدِ! [26] تَزَلزَلَتِ الأَرضُ بِصَوتِ اللهِ حينَما عَقَدَ مَعَهُ الميثاقَ القَديمَ، فَجاءَ كَلامُ اللهِ تَعالى على لِسانِ النَّبيِّ حَجَّي: "لأُزَلزِلَنَّ مَرّةً أُخرى، لا الأَرضَ وَحدَها بل أيضًا السَّماواتِ العُلى!" (٩) [27] ومَعنى هذا أَنَّهُ سيُزَلزِلُ الدُّنيا، فيُزيلَ كُلَّ ما فيها، وإنّما الأَبَديُّ الثّابِتُ المَتينُ هو ما يَبقى. [28] فاحمَدوا اللهَ لأَنّهُ جَعَلَنا نَفوزُ بالمَملَكةِ الأبَديّةِ الرّاسِخةِ، واعبُدوهُ عِبادةَ خُشوعٍ ورَهبَةٍ

---

(٦) التوراة، سفر الخروج 19: 12-13.

(٧) لم ترد هذه التفاصيل في التوراة ويبدو أنّ ما جاء هنا هو إشارة إلى وحي جديد.

(٨) رغم أنّ جبل تِصْيون هو الجبل الذي بُنيَت عليه مدينة القدس، فإنّ المصطلح يشير هنا إلى مدينة الله السماويّة ومن سيسكنها.

(٩) كتاب النبي حجّي 2: 6.

يَرضى عنها. [29] إنَّ قوّةَ اللهِ كَالنّارِ المُلتَهِبةِ القاهِرةِ.

13

الفصل الثّالث عشر

وصايا أخيرة

[1] اِستَمِرّوا في مَحَبّةِ بَعضِكُم بَعضًا، إخوَةً في اللهِ. [2] ولا تَغفَلوا عن ضِيافةِ الغُرَباءِ، فقد استَضافَ بَعضُ الأنبياءِ مَلائكةً وهُم لا يَدرونَ.(١) [3] واعتَنوا دائمًا بالأَسرى السُّجَناء، كَأَنّكُم أسرى مَعَهُم، وسانَدوا المَظلومينَ، كَأَنَّما أنتمُ المَظلومونَ.

[4] حافِظوا على كَرامةِ الزَّواجِ، وابتَعِدوا عن النَّجاسةِ، وأخلِصوا لِزَوجاتِكُم، إنَّ اللهَ يُنزِلُ عِقابَهُ على الزُّناةِ والفاسِقينَ. [5] طَهِّروا قُلوبَكُم مِن حُبِّ المالِ، واقتَنِعوا بِما أعطاكمُ اللهُ. فقد أَوحى تَعالى في الكِتابِ: "ما أَنا بِمُهمِلِكَ، وما أنا بتارِكِكَ".(٢) [6] ونُرَدِّدُ كذلِكَ ما جاءَ في الزَّبورِ بِكُلِّ ثِقةٍ: "إنَّ اللهَ نَصيري فلا أَهابُ ما هُم بي فاعِلونَ".(٣)

[7] وتَذَكَّروا دائمًا المُرشِدينَ الَّذينَ عَلَّموكُم رِسالةَ اللهِ، وتَأمّلوا في سِيرَتِهِم حَتّى نِهايتِها، واقتَدُوا بإيمانِهِم. [8] فسَيِّدُنا عيسى المَسيحُ لا يَتَغَيَّرُ أبَدًا، لا اليَومَ، ولا في ما مَضى مِن الأَيّامِ، ولا في ما تَبَقَّى مِنها. [9] فلا تَتَّبِعوا عَقائدَ الضَّلالِ الغَريبةَ ولا تَنخَدِعوا بها. بل اثبُتوا في إيمانِكُم بِفَضلِ اللهِ، لا بواسِطةِ شَعائرِ الطَّعامِ الَّتي لا تَنفَعُ الّذينَ اتَّكَلوا عليها.

[10-11] وقَد ضَحَّى سَيِّدُنا عيسى بِحَياتِهِ مِن أَجلِ أن تُغفَرَ ذُنوبُنا، ولَيسَ لِلأَحبارِ إن تَمَسَّكوا بِنِظامِ الخَيمَةِ المُقَدَّسَةِ أن يَستَفيدوا مِن تِلكَ التَّضحيةِ!

---

(١) تشير كتب الأنبياء القدامى إلى أنّ الملائكة تَظهر للناس على هيئة إنسان، فيعتقدون للوهلة الأولى أنّهم بشر، كما حدث مع النبي إبراهيم وغيره من الآباء الأوّلين (انظر التوراة، سفر التكوين، الفصل 18).

(٢) يلمّح الكاتب هنا إلى التوراة، سفر التثنية 31: 6، 8.

(٣) كتاب الزبور، مزمور 118: 6-7.

فالأَحبارُ يَذبَحونَ الحَيَواناتِ ويَجعَلونَ دِماءَها في المِحرابِ المُقَدَّسِ قُربانًا لِلتَّكفيرِ عَن خَطايا الشَّعبِ كُلِّهِ، أَمّا أَجسامُ الأضاحي فَتُحرَقُ خارِجَ المَكانِ الَّذي يُخَيِّمونَ فيهِ.(٤) 12 كذلِكَ، تَألَّمَ سَيِّدُنا عيسى وضَحَّى بنَفسِهِ خارِجَ بَوّابةِ مَدينةِ القُدسِ، حَتّى يُطَهِّرَ بِدَمِهِ جَماعةَ المؤمنينَ. 13 لِذا بِما أَنَّ سَيِّدَنا قَد تَحَمَّلَ الذُّلَّ والإهانةَ خارِجَ المَدينةِ، فدَعُونا نَخرُجُ إليهِ ونَحمِلُ مِن شَعبِنا الذُّلَّ مَعَهُ. 14 فالدُّنيا لَيستْ وَطنًا لنا، بَل نَحنُ نَسعى إلى وَطَنِنا في الآخِرةِ.
15 هكذا يَجِبُ أن نُقَدِّمَ قُربانَ تَسبيحٍ للهِ لا يَنتَهي بفَضلِ السَّيِّدِ المَسيحِ، وهو قُربانٌ يَصدُرُ عن شِفاهِنا نَحنُ الّذينَ نُسَبِّحُ بحَمدِهِ في العالَمينَ. 16 لا تُهمِلوا صالِحَ أَعمالِكُم وإعانَةَ إخوتِكُم بسَخاءٍ، فهذِهِ الأعمالُ هي بمَثابةِ القَرابين الَّتي تُرضي اللهَ. 17 أطيعوا مُرشِديكُم واحتَرِموا مَكانتَهُم، لأَنَّهُم يَسهَرونَ على العِنايةِ بِكُم، وإنَّهُم سيُحاسَبونَ أَمامَ اللهِ على عَمَلِهِمِ الرُّوحانيّ. افعَلوا هذا كَي يَقوموا بِعَمَلِهِم بِفَرَحٍ لا بتَذَمُّرٍ، وإلاّ فأنتمُ الخاسِرونَ.
18 فادعوا لنا، لأَنّنا نَحنُ على يَقينٍ مِن نَقاءِ ضَميرِنا، ونَرغَبُ في أن نَحيا حياةً شَريفةً مِن كُلِّ جَوانبِها. 19 فاحرِصوا أَن تَتَضَرَّعوا إلى اللهِ مِن أجلِ أن أَعودَ إليكُم في أقرَبِ وَقتٍ.

دعاء وتحيّة ختاميّة

20 إنّ اللهَ هو السَّلامُ ومِنهُ السَّلامُ، وهو الَّذي بَعَثَ سَيِّدَنا عيسَى مِنَ المَوتِ. وإنَّ سَيِّدَنا هو الرّاعي العَظيمُ، وبِدَمِهِ أقامَ اللهُ مَعَنا ميثاقَهُ الأَبَديّ. 21 وإنّي لَسائِلٌ اللهَ تَعالى، أَن يَجعَلَكُم قادِرينَ على فِعلِ ما يَشاءُ مِن صَلاحٍ، وأن يَعمَلَ فينا ما يُرضيهِ بِحَقِّ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ، لتَكونَ لهُ الهَيبَةَ إلى أَبَدِ الآبِدينَ. آمينَ.
22 إخوَتي المؤمنينَ، إنّي لأرجوكُم أَن تَحتَمِلوا ما وَجَّهتُهُ إليكُم مِن وَعظٍ في هذِهِ الرِّسالةِ القَصيرةِ. 23 واعلَموا أَنَّ أَخانا تيموتاوي قد أُطلِقَ سَراحُهُ مِنَ السِّجنِ. فإن وَصَلَ إليَّ بِسُرعَةٍ، فسنَزورُكُم قَريبًا.

---

(٤) يشير الكاتب هنا إلى الأحكام في التوراة، سفر اللاّويين 16: 3-28.

24 بلِّغوا سَلامي إلى مُرشِديكُم، وبَلِّغوهُ إلى جَميعِ المؤمنينَ. ويُبَلِّغُكُم إخوَتُكُم في إيطاليا السَّلامَ أيضًا. 25 فَضلُ اللهِ عليكُم أَجمَعينَ.